

ترجمة الإمام أحمد

١٦٤ - ٢٤١

من تاريخ الإسلام

للمصنف الذهبي

٦٧٣ - ٧٤٨

تاريخ الاسلام لمؤرخ الاسلام : الحافظ الذهبي

الامام الحافظ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن
قايماز بن الذهبي الدمشقي .

جاء في شذرات الذهب في وصفه :

اما استاذنا ابو عبدالله فبصر لا نظير له ، وكنز هو الملجأ اذا نزلت
المعضلة ، امام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظا . وشيخ الجرح
والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كانما جمعت الامة في صعيد واحد
فنظرها ثم اخذ يخبر عنها اخبار من حضرها ، وهو الذي خرجنا في هذه
الصناعة ، وادخلنا في عداد الجماعة .

ولد في دمشق سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وطلب الحديث من يفاعته
فسمع بدمشق من ابن عساكر والقواس ورحل الى بعلبك ، فسمع عن
عبد الخالق بن علوان ، وزينب بنت عمر بن كندی وغيرهما . .

رحل الى مصر فسمع من شيخ الاسلام ابن دقيق العيد ، والحافظين :
أبي محمد الديلمي ، وأبي العباس بن الظاهري . ورحل الى الاسكندرية
فسمع من علمائها والى حلب فسمع من سنقر الزيني وغيره .

اقام بدمشق يرحل اليه من سائر البلاد ، وتناديه السؤالات من كل
ناد ، وهو بين أكنافها كنف لأهلها وشرف تفتخر به ، وتزهى به الدنيا
وما فيها .

وكل تصانيفه شاهدة على تبحره ومهارته في العلوم النقلة ، وقد عد
ابن تفرى في المنهل الصافي خمسة وستين كتابا ، وفي ذيل تذكرة الحفاظ :
ان مصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة .

من اهم مصنفاته :

تاريخ الاسلام الكبير ، الذى نال شهرة واسعة ، لانه اكبر كتب التاريخ . واثقها وانقنها ، الفه حافظ مدقق ثقة ، تناول فيه تاريخ الاسلام بدءا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالصحابية ، فالتابعين ، والمحدثين والفقهاء ، والادباء ، والمؤرخين الى آخر السنة ٧٠٠ هـ . مرتبا على سبعين طبقة تشمل كل طبقة عشر سنين ، ومصنفا على حروف المعجم . فجاء شاملا جامعا لكل مناحى الحياة خاصة تعرضه للأحوال الاجتماعية ، والحضارية ، والاقتصادية للدولة الاسلامية آنسذ .

وهذا الكتاب يقع مخطوطا فى واحد وعشرين مجلدا ، والجزء الذى تقع فيه ترجمة الامام احمد فيه تراجم الطبقة الخامسة والعشرون المتوفون من سنة ٢٤١ الى سنة ٢٥٠ ، وهو من خير تراجم الامام احمد بن حنبل ولعلها احسن تعريف بهذا الامام المجاهد ، امام اهل السنة ، وما اصابه من تعذيب وتنكيل بين يدى خلفاء بنى العباس ، وصبره ومصابرته حتى علت راية الحق ، وسلمت العقيدة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكَّابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل . الإمام أبو عبد الله الشيباني . هكذا نَسَبَهُ ولَدُهُ عبدُ الله ، واعتمده أبو بكر الخطيب وغيره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا صالح بن أحمد قال : وجدتُ في كتاب أبي نسبة ، فساقه إلى مازن ، ثم قال : ابن هذيل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكَّابة .

قلت : قال فيه « هذيل بن شيبان » كما ترى ، وهو غلط .

وقال البغوي : حدثنا صالح بن أحمد ، فقال فيه « ذهل » بدل « هذيل » .

وكذا نقل إبراهيم بن إسحق الفسيل عن صالح . فدلَّ على أن الوهم من ابن أبي حاتم .

وأما قول عباس الدوري وأبي بكر بن أبي داود أن الإمام أحمد كان من بني

ذُهل بن شيبان ، فغلطهما الخطيب ، وقال : إنما كان من بني شيبان بن ذُهل

بن ثعلبة ، قال : وذُهل بن ثعلبة هو عمُّ ذُهل بن شيبان بن ثعلبة ، فينبغي أن يقال

فيه « أحمد بن حنبل الذهلي » على الإطلاق ، وقد نسبته البخاري إليهما معاً ،

فقال : الشيباني الذهلي .

وأما ابن ما كولا ، مع بصره بالأنساب ، فورهم وقال في سياق نسبه ، مازن بن ذهل بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ولم يتابع عليه .

وقال صالح بن أحمد : قال لي أبي : وُلدتُ في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة . قال صالح : وجي . بأبي حَمَلٌ من مَرَوَ ، فتوفي أبوه محمد شاباً ابن ثلاثين سنة ، فوليت أبي أمه ، وقال أبي : وكانت قد ثقت أذني ، فكانت أُمي تصير فيهما لؤلؤتين ، فلما ترعرعتُ نزعتهما ، فكانتا عندها ، فدفعتهما إلي فبعتهما بنحو من ثلاثين درهماً .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي خيثمة : إنه وُلدَ في ربيع الآخر .

وقال حنبل : سمعتُ أبا عبد الله يقول : طلبت الحديث سنة تسع وسبعين ، وجاءنا رجل وأنا في مجلس هشيم : فقال : مات حماد بن زيد .

فبن شيوخه : هشيم ، وسفيان بن عيينة ، وإبراهيم بن سعد ، وجريير بن عبد الحميد ، ويحيى القطان ، والوليد بن مسلم ، وإسماعيل بن علية ، وعلي بن هاشم ابن البريد ، ومعتز بن سليمان ، وعمار بن محمد ابن أخت الثوري ، ويحيى بن سليم الطائفي ، وغندر^(١) وبشر بن المفضل ، وزِيَادُ البُكَائِي ، وأبو بكر بن عياش ، وأبو خالد الأحمر ، وعباد بن عباد المهلب ، وعباد بن العوام ، وعبد العزيز بن عبد الصمد العمي . وعمر بن عبيد الطنافسي ، والمطلب بن زياد ، ويحيى بن أبي زائدة ، والقاضي أبو يوسف ، ووَكيع ، وابن نمير ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ويزيد بن هرون وعبد الرزاق ، والشافعي ، وخلق كثير .

ومن رَوَى عنه : خ م د ، ومن بقي بواسطة ، وفي خ د أيضاً بواسطة^(٢) ، وابناه :

(١) غندر : الحافظ المتقن المجود أبو عبد الله بن جعفر الهذلي -

مولاهم - البصري ، لزم شعبة فاكثرت عنه جداً ، توفي سنة ١٩٣ هـ .

(٢) خ : البخاري ، م : مسلم ، د : أبو داود .

صالح^١، وعبد الله . وشيوخه : عبد الرازق ، والحسن ابن موسى الأشيب ، والشافعي .
 لكنه قال « الثقة » ولم يسمه ، وأقرانه : علي بن المديني ، ويحيى بن معين ،
 ودحيم الشامي ، وأحمد بن أبي الحواري ، وأحمد بن صالح المصري . ومن القدماء :
 محمد بن يحيى الذهلي ، وأبو زرعة^(١) وعباس الدورى ، وأبو حاتم ، وبقي بن مخلد ،
 وإبراهيم الحارثي ، وأبو بكر الأثرم ، وأبو بكر المروزي ، وحرب الكرماني ، وموسى
 بن هرون ، ومطين ، وخلق ، آخرهم أبو القاسم بغوى .

وقال أبو جعفر بن ذريح العكبري : طلبتُ أحمد بن حنبل لأسأله عن مسألة ،
 فسلمتُ عليه وكان شيخاً مخضوباً طوالاً أسمر شديداً السمرة .

وقال الخطيب : ولد أبو عبد الله ببغداد ، ونشأ بها ، وطلب العلم بها ، ثم رحل
 إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة .

وقال أحمد : مات هشيم سنة ثلاث وثمانين ، وخرجتُ إلى الكوفة في تلك
 الأيام ، ودخلتُ البصرة سنة ست وثمانين ، ثم دخلتها سنة تسعين ، وسمعت من علي
 بن هاشم سنة تسع وسبعين^(٢) ، ثم عدتُ إليه المجلس الآخر وقد مات ، وهي السنة
 التي مات فيها مالك .

وقال : قد منّا مئة سنة سبع وثمانين وقد مات الفضيل ، وفي سنة إحدى وتسعين ،
 وفي سنة ست^(٣) ، وأقت بمكة سنة سبع ، وخرجنا سنة ثمان ، وأقت سنة تسع وتسعين^(٤)
 عند عبد الرزاق ، وحجبتُ خمس حجج ، منها ثلاث راجلاً ، وأتقتُ في إحدى

(١) هما : أبو زرعة الرازي . واسمه عبيد الله بن عبد الكريم
 ابن يزيد بن فروخ (امام في الحديث ، وكان يحفظ حديث أحمد بن حنبل
 كله ، لطول ، لطول مجالسته ومناظرته إياه) . وأبو زرعة الدمشقي
 واسمه : عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان البصري : حافظ عالم بالحديث
 والرجال ، وصنف من حديث الشام ما لم يصنفه أحد .

(٢) سنة : ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٧٩ على الترتيب .

(٣) سنة : ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ على الترتيب .

هذه الحجج ثلاثين درهماً ، ولو كان عندي خمسون درهماً لخرجت إلى جرير بن عبد الحميد .

وقال : رأيت بن وهب بمكة ، ولم أكتب عنه .

وقال محمد بن حاتم : ولي جدُّ الإمام أحمد بن حنبل سرخس ، وكان من أبناء الدعوة . فحدثت أنه ضربه المسيب بن زهير الضبي ببخارى ، لكونه شغب الجند . وعن عباس النحوي قال : رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه ربعة يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ، وفي لحيته شعرات سود ، ورأيت ثيابه غلاظاً إلا أنها بيض ، ورأيت معةً وعليه إزار .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : ذهبت لأسمع من ابن المبارك فلم أدركه ، وكان قد قدم فخرج إلى الثغر ، فلم أسمع منه ولا رأيته .

وقال عارم أبو النعمان : وضع أحمد عندي نفقته ، فكان يجيء فيأخذ منها حاجته ، فقلت له يوماً . يا أبا عبد الله ، بلغني أنك من العرب ؟ فقال : يا أبا النعمان ، نحن قوم مساكين ، فلم يزل يدافعني حتى خرج ، ولم يقل لي شيئاً .

وقال صالح : عزم أبي على الخروج إلى مكة ، ورافق يحيى بن معين ، فقال أبي : نخرج ونمضي إلى صنعاء ، إلى عبد الرزاق ، قال : فمضينا حتى دخلنا مكة ، فإذا عبد الرزاق في الطواف ، وكان يحيى يعرفه ، فطفنا ثم جئنا إلى عبد الرزاق ، فسلم عليه يحيى ، وقال : هذا أخوك أحمد بن حنبل ، فقال : حيَّاه الله ، إنه كَيْبُلُفني عنه كلُّ ما أُسرُّ به ، ثبَّته الله على ذلك ، ثم قام لينصرف ، فقال يحيى : ألا تأخذ عليه الموعد ؟ فأبى أحمد ، وقال لم أغير النية في رحلتى إليه ؟ أو كما قال ، ثم سافر إلى اليمن لأجله ، وسمع منه الكتب واكثر عنه .

فصل

في إقباله على العلم واشتغاله وحفظه

قال الخلال : أخبرنا ، المرؤذي أن أبا عبد الله قال له : ما تزوجتُ إلا بعد الأربعين .

وعن أحمد الدورقي عن أبي عبد الله قال : نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة وجوه ، لم نضبطه ، كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد !!
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبا زرعة يقول : كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، قليل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب .
وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : حفظت كل شيء سمعته من هشيم وهشيم حي .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم قال سعيد بن عمرو البرذعي : يا أبا زرعة ، أنت أحفظ أم أحمد بن حنبل ؟ قال : بل أحمد ، قلت : وكيف علمت ؟ قال : وجدت كتبه ليس في أوائل الأجزاء ترجمة أسماء المحدثين الذين سمع منهم ، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه ، وأنا لا أقدر على هذا .

وعن أبي زرعة قال : حُزِرَتْ^(١) كتب أحمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ، ما كان على ظهر كتاب منها « حديث فلان » ولا في بطنه « حدثنا فلان » وكل ذلك كان يحفظ على ظهر قلبه .

وقال الحسن بن منبه : سمعت أبا زرعة قال : أخرج إلي أبو عبد الله أجزاء

كلهما «سفيان» «سفيان»، ليس على حديث منها حدثنا فلان، فظننتها عن رجل واحد، فانتخبت منها، فلما قرأ علي جعل يقول: حدثنا وكيع ويحيى حدثنا فلان، فعجبت من ذلك، وجهدت أن أقدر على شيء من هذا، فلم أقدر.

وقال المرؤذي: سمعت أبا عبد الله يقول: كنت إذا كر وكيعاً بحديث الثوري، وكان إذا صلى العشاء الآخرة خرج من المسجد إلى منزله، فكنت إذا كره، فربما ذكر تسعة، عشرة، أحاديث فأحفظها، فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث أمل علينا، فأملها عليهم.

وقال الخلال: حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، سمعت قتيبة بن سعيد يقول: كان وكيع إذا كانت العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل، فيقف على الباب فإذا كره، فأخذ وكيع ليلة بعضاتي الباب، ثم قال: يا أبا عبد الله، أريد أن ألقى عليك حديث سفيان، قال: هات، قال: تحفظ عن سفيان عن سلمة بن كهيل كذا؟ قال: نعم حدثنا يحيى، فيقول: سلمة كذا وكذا؟ فيقول: حدثنا عبد الرحمن، فيقول: وعن سلمة كذا وكذا؟ فيقول: أنت حدثتنا، حتى يفرغ من سلمة، ثم يقول أحمد: فتحفظ عن سلمة كذا وكذا؟ فيقول وكيع: لا، ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ، قال: فلم يزل قائماً حتى جاءت الجارية فقالت: قد طلع الكوكب، أو قالت: الزهرة.

وقال عبد الله: قال لي أبي: خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك الإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك عن الكلام.

وقال الخلال : سمعت أبا القاسم الجبلي^(١) وكفاك به ، يقول : أكثر الناس يظنون أن أحمد إذا سئل كأن علم الدنيا بين عينيه .

وقال إبراهيم الحربي : رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين .
وعن أحمد بن سعيد الرازي قال : ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقهاء ومعانيه من أحمد بن حنبل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سلمة سمعت إسحق بن راهويه يقول : كنت أجالس بالعراق أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأصحابنا ، وكنا نتذاكر الحديث من طريقين وثلاثة ، فيقول يحيى من بينهم : وطريق كذا ، فأقول : أليس قد صح هذا بإجماع منا ؟ فيقولون : نعم : فأقول : ما تفسيره ؟ ما فقهه ؟ فيقفون كلهم إلا أحمد بن حنبل .

وقال الخلال : كان أحمد قد كتب كتب الرأي وحفظها ، ثم لم يلتفت إليها .
وقال أحمد بن سنان : ما رأيت يزيد بن هرون لأحد أشد تعظيماً منه لأحمد بن حنبل ، ولا رأيت أكرم أحداً مثله ، وكان يقعد إلى جنبه ويوقره ولا يمازحه .

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع .
وقال إبراهيم بن شماس : سمعت وكيعاً يقول : ما قدم الكوفة مثل ذاك الفتي ، يعني أحمد ، وسمعت حفص بن غياث يقول ذلك .
وعن عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا تذكرت به سفيان الثوري .

(١) واسمه : إسحق بن إبراهيم الجبلي ، المشتهر ٨٩ .

وقال القواريري : قال لي يحيى القطان : ما قدم عليّ مثلُ أحمد بن حنبل ويحيى بن معين .

وقال أبو اليمان : كنت أشبه أحمد بن حنبل بأرطاة بن المنذر^(١) .

وقال الهيثم بن جميل : إن عاش هذا الفتى سيكون حجة على أهل زمانه ، يعني أحمد .

وقال قتيبة : خير أهل زماننا ابنُ المبارك ، ثم هذا الشاب ، يعني أحمد بن حنبل .
وقال أبو داود : سمعت قتيبة يقول : إذا رأيتَ الرجل يحبُّ أحمد فاعلم أنه صاحب سنة .

وقال عبد الله بن أحمد بن شويه عن قتيبة : لو أدرك أحمدُ عصر الثوري والأوزاعي ومالك والليث لكان هو المقدم ، فقلت لقتيبة : تضم أحمد إلى التابعين ؟ فقال : إلى كبار التابعين . وسمعتُ قتيبة يقول : لولا الثوري لمات الورع ، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين .

وقال أحمد بن سلمة : سمعت قتيبة يقول : أحمد بن حنبل إمام الدنيا .

وقال العباس بن الوليد البيروقي : حدثنا الحرث بن عباس قال : قلت لأبي مُسَهِرٍ : هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة أمرَ دينها ؟ قال : لا أعلمه إلا شاب في ناحية المشرق ، يعني أحمد بن حنبل .

قال المزني : قال لي الشافعي : رأيت ببغداد شاباً إذا قال « حدثنا » قال الناس كلهم : صدق . قلت : من هو ؟ قال : أحمد بن حنبل .

وقال حرمة : سمعت الشافعي يقول : خرجت من بغداد فما خلفتُ بها رجلاً أفضلَ ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل .

(١) أرطاة بن المنذر : تابعي حمصي أترك ثوبان وسمع من مجاهد والكبار . وعنه ابن المبارك ، وهو ثقة فقيه زاهد عابد كبير ، مات سنة ١٦٣ هـ .

وقال الزعفراني : قال لي الشافعي : ما رأيت أعقل من أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمي .

وقال محمد بن إسحق بن راهويته : سمعتُ أبي يقول : قال لي أحمد بن حنبل : تعالَ حتى أُريكَ رجلاً لم تَرَ مثله ، فذهب بي إلى الشافعي ، قال أبي : وما رأى الشافعيُّ مثلَ أحمد بن حنبل ، ولولا أحمدُ وبَذَلُ نفسه لما بذلها له لذهَبَ الإسلامُ .

وعن إسحق قال : أحمد حجةٌ بين الله وبين خلقه .

وقال محمد بن عبدويه : سمعتُ عليَّ بن المديني^(١) ، وذكرَ أحمد بن حنبل ، فقال : هو أفضلُ عندي من سعيد بن جُبَيْرٍ في زمانه ، لأنَّ سعيداً كان له نظراء ، وإن هذا ليس له نظير ، أو كما قال .

وقال عليَّ بن المديني : إن الله أعزَّ هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الرِّدَّة ، وبأحمد بن حنبل يوم الحَنَّة .

وقال أبو عبيد : انتهى العلم إلى أربعة : أحمد بن حنبل ، وهو أفتهم . وذكر الحكاية .

وقال محمد بن نصر الفراء : سمعتُ أبا عُبَيْدٍ يقول : أحمد بن حنبل إمامنا ، إني لأتزين بذكره .

وقال أبو بكر الأثرم عن أبي عبيد : ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة من أحمد .

وقال أحمد بن الحسن الترمذي : سمعت الحسن بن الربيع يقول : ما شُبهت أحمد بن حنبل إلا بابن المبارك في سَمَتِهِ وهَيْئَتِهِ .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسين الأنطاقي قال : كنا في مجلس فيه يحيى بن معين وأبو خيثمة وجماعة ، فحملوا يثنون على أحمد بن حنبل ، فقال رجل :

(١) علي بن المديني (٢٦١ - ٢٣٤) : شيخ البخاري ، أحد الاعلام الأثبات وحافظ العصر ، وعلماء في معرفة الحديث والملك ، وكان الامام أحمد لا يسميه ، إنما يكنيه تبجيلاً له .

لا تكثروا ، بعض هذا ! فقال يحيى بن معين : وكثرة الثناء على أحمد تستكثر !
لو جلسنا مجالسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكاملها .

وقال عباس عن ابن معين : ما رأيت مثل أحمد .

وقال أبو جعفر النعماني : كان أحمد من أعلام الدين .

وقال المرؤذي : حضرت أبا ثور سئل عن مسألة ، فقال : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل شيخنا وإمامنا فيها كذا وكذا .

وقال إبراهيم الحربي : قال ابن معين : ما رأيت أحداً يحدث الله إلا ثلاثة :
يعلى بن عبيد ، والقاسم ، وأحمد بن حنبل .

وقال عباس الدورى : سمعت ابن معين يقول : أرادوا أن أكون مثل أحمد ،
والله لا أكون مثله أبداً .

وقال أبو خيثمة : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا أشدّ قلباً منه .

وقال علي بن خشرم : سمعت بشر بن الحرث وسئل عن أحمد بن حنبل ،
فقال : أنا أسأل عن أحمد ؟ ! إن أحمد أدخل الكبير نخرج ذهباً أحمر . رواها
جماعة عن ابن خشرم .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قال أصحاب بشر بن الحرث حين ضرب
أحمد في الحنة : يا أبا نصر ، لو أنك خرجت فقلت إني على قول أحمد بن حنبل !
فقال بشر : أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء ! رويت من وجهين عن بشر ، وزاد
أحدهما : قال بشر : حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه .

وقال القاسم بن محمد الصائغ : سمعت المرؤذي يقول : دخلت على ذي النون
السجن ونحن بالمسكر ، فقال : أي شيء حال سيدنا ؟ يعني أحمد بن حنبل .

وقال إسحق بن أحمد سمعت أبا زرعة يقول : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل
في فنون العلم ، وما قام أحد مثل ما قام أحمد به .

وقال ابن أبي حاتم : قالوا لأبي زرعة : فإسحق بن راهويه ؟ قال أحمد بن حنبل أكبر من إسحق وأفقته ، قد رأيت الشيخ ، فما رأيت أحداً أكمل منه ، اجتمع فيه زهد وفضل وفقه وأشياء كثيرة .

وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن علي بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، أيهما أحفظ ؟ فقال : كانا في الحفظ متقاربين ، وكان أحمد أفقه . وقال أبي : إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة . وسمعت أبي يقول : رأيت قتيبة بمكة ، فقلت لأصحاب الحديث : كيف تغفلون عنه وقد رأيت أحمد بن حنبل في مجلسه ؟ ! فلما سمعوا هذا أخذوا نحوه وكتبوا عنه .

وقال محمد بن حماد الطهراني : سمعت أبا نور يقول : أحمد بن حنبل أعلم أو أفقه من الثوري .

وقال محمد بن يحيى الذهلي : جعلت أحمد بن حنبل إماماً فيما بيني وبين الله .

وقال نصر بن علي الجهضمي : كان أحمد أفضل أهل زمانه .

وقال عمرو الناقد : إذا واقفني أحمد على حديث لا أبالي من خالفني .

وقال محمد بن مهران الجمل وذُكر له أحمد بن حنبل ، فقال : ما بقي غيره .

وقال الخليل : حدثنا صالح بن علي الحلبي سمعت أبا همام السَّكُونِي يقول : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا رأيت أحداً مثله .

وقال محمد بن إسحق بن خزيمة : سمعت محمد بن سخطويه البردعي يقول : سمعت أبا عمير عيسى بن محمد الرملي ، وذكر أحمد بن حنبل ، فقال : رحمه الله ، عن الدنيا ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه ، وبالصالحين ما كان ألحقه ، عرضت له الدنيا فأبأها ، والبدع فنفأها .

وقال أبو حاتم الرازي : كان أبو عمير بن النحاس الرملي من عباد المسلمين ،

فقال لي : كتبت عن أحمد بن حنبل شيئاً ؟ قلت : نعم ، قال : فأمل عليّ ، فأملت عليه شيئاً .

وعن حجاج بن الشاعر قال : ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصلّ على أحمد بن حنبل .

وعنه قال : قبّلت يوماً ما بين عيني أحمد بن حنبل ، وقلتُ : يا أبا عبد الله ، بلغت مبلغ سفیان ومالك ، ولم أظنّ في نفسي أنّي بقيت غايةً ، فبلغ والله في الإمامة أكثر من مبلغهما .

وعن حجاج بن الشاعر قال : ما رأت عيناى روحاً في جسدٍ أفضل من أحمد بن حنبل .

وعن محمد بن نصر المروزي قال : اجتمعتُ بأحمد بن حنبل وسألته عن مسائل ، وكان أكثر حديثاً من إسحق بن راهويه وأفقه منه .

وعن محمد بن إبراهيم البوشنجي قال : ما رأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل ولا أعقل .

وقال محمد بن مسلم بن وارة : كان أحمد صاحبَ فقه ، وصاحبَ حفظ ، وصاحبَ معرفة .

وقال أبو عبد الرحمن النّسائي : جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه ، والورع والزهد والصبر .

وقال خطّاب بن بشر عن عبد الوهاب بن الحكم الورّاق : لما قال النبي صلى الله عليه « فرُدُّوه إلى عالمه » ردّدناه إلى أحمد بن حنبل ، وكان أعلم أهل زمانه .

وقال أبو داود : كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة ، لا يُذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، ما رأيته ذكر الدنيا قطّ .

وقال صالح جزرة : ألقه من أدركت في الحديث أحمد بن حنبل .

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه ، وذكر الشافعي عنده ، فقال : ما استفدنا من أكثر مما استفدنا منه . قال عبد الله : كل شيء ، في كتاب الشافعي « أخبرنا الثقة » فهو عن أبي .

وقال الخلال : حدثنا أبو بكر المروزي قال : قدم رجل من الزهاد ، فأدخلته على أبي عبد الله وعليه فرو خلق وحزقة على رأسه وهو حاف في برد شديد ، فسلم وقال : يا أبا عبد الله ، قد جئت من موضع بعيد ، وما أردت إلا السلام عليك ، وأريد عبادة ، وأريد أن أنا رجعت أن أمر بك وأسلم عليك ، فقال : إن قدر مقام الرجل وأبو عبد الله قاعد ، قال المروزي : ما رأيت أحدا قط قام من عند أبي عبد الله حتى يقوم أبو عبد الله إلا هذا الرجل ، فقال لي أبو عبد الله : ما ترى ، ما أشبهه بالأبدال ؟ ! أو قال : إني لأذكر به الأبدال ! فأخرج إليه أبو عبد الله أربعة أرغفة مشطورة بكامخ ، وقال : لو كان عندنا شيء لواسيناك .

قال الخلال : وأخبرنا المروزي : قلت لأبي عبد الله : ما أكثر الداعي لك ! قال : أخاف أن يكون هذا استدراجا ، بأي شيء هذا ! وقلت لأبي عبد الله : إن رجلا قدم من طرسوس فقال لي : إنا كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هذا الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء : ادعوا لأبي عبد الله ، وكنا نمد المنجنيق ونرمي عنه ، ولقد رمي عنه بحجر والعليج على الحصن متقوس بدرقة ، فذهب برأسه وبالدرقة ، فتغير وجهه ، وقال : ليته لا يكون استدراجا ، فقلت : كلاً .

قال الخلال : وأخبرني أحمد بن حسين قال : سمعت رجلا من خراسان يقول : عندنا أحمد بن حنبل يرون أنه لا يشبه البشر ، يظنون أنه من الملائكة . وقال لي رجل : نظرة عندنا من أحمد تعدل عبادة سنة .

قال الخلال : وقال المروزي : رأيت بعض النصارى الأطباء قد خرج من عند

أبي عبد الله ومعه راهب ، فسمعت الطيب يقول : إنه سألني أن يجيء معي حتى ينظر إلى أبي عبد الله .

وقال المروزي : وأدخلتُ نصرانياً على أبي عبد الله يعالجه ، فقال : يا أبا عبد الله ، إني لأشتهي أن أراك منذ سنين ، مابقاؤك صلاح الإسلام وحدهم ، بل للخلق جميعاً ، وليس من أصحابنا أحد إلا رضي بك . قال المروزي : قتل لآبي عبد الله : إني لأرجو أن يكون يُدعى لك في جميع الأمصار ، فقال : يا أبا بكر ، إذا عَرَفَ الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس .

وقال عبد الله بن أحمد : خرج أبي إلى طرسوس ماشياً ، وحج حجتين أو ثلاثاً ماشياً ، وكان أصبر الناس على الوحدة ، وبشرٌ فيما كان فيه لم يكن بصبر علي الوحدة ، كان يخرج إلى ذا وإلى ذا .

وقال عباس الدُّوري : حدثني علي بن أبي فزارة جارئنا ، قال : كانت أمي مقعدةً من نحو عشرين سنة ، فقالت لي يوماً : اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي ، فأتيتُ فدققت عليه وهو في دهليزه ، فلم يَفْتَحْ لي ، وقال : من هذا ؟ قال : أنا رجل سألني أمي وهي مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها ، فسمعت كلامه كلامَ رجل مُغْضَبٍ ، فقال : نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا ، فولَّيتُ منصرفاً ، فخرجتُ عجوزٌ فقالت : إني قد تركته يدعو لها ، فحُتَّ إلى بيتنا دققتُ الباب ، فخرجتُ أمي على رجليها تمشي ، وقالت : قد وهب الله لي العافية . رواها ثقتان عن عباس .

وقال عبد الله بن أحمد : كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته ، فكان يصلي كل يوم ليلة مائة وخمسين ركعة . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا علي بن الجهم قال : كان لنا جار فأخرج إلينا كتاباً ، فقال : أتعرفون هذا الخط ؟ قلنا : هذا خط أحمد بن حنبل ، فكيف كتب

لك ؟ قال : كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عُيينة ، ففقدنا أحمد أياماً ، ثم جئنا لنسأل عنه ، فإذا البابُ مردود عليه وعليه خلقان ، فقلتُ : ما خبرُك ؟ قال : سُرقت ثيابي ، فقلتُ له : معي دنانير ، فإن شئتَ صلةً وإن شئتَ قرضاً ، فأبى ، فقلت : تكتب لي بأجرة ؟ قال : نعم ، فأخرجتُ ديناراً ، فقال : اشتر لي ثوباً واقطعه نصفين ، يعني إزاراً ورداء ، وجئتني ببقية الدينار ، ففعلتُ وجئت بورق ، فكتب لي هذا .

وقال عبد الرزاق : عرضت على أحمد بن حنبل دنانير فلم يأخذها .

وقال إسحق بن راهويه : كنت أنا وأحمد باليمن عند عبد الرزاق ، وكنت أنا فوق الغرفة وهو أسفل ، وكنت إذا جئتُ إلى موضعٍ اشتريت جارية ، قال : فاطلعتُ على أن نفقته فيت ، فعرضتُ عليه فامتنع ، فقلت : إن شئتَ قرضاً ، وإن شئتَ صلةً ، فأبى ، فنظرت فإذا هو ينسج التكبك ويبيع وينفق . رواها أبو إسماعيل الترمذي عنه .

وعن أبي إسماعيل قال : أتى رجل بعشرة آلاف درهم من ربح تجارته إلى أحمد ، فأبى أن يقبلها .

وقال عبد الله عن أبيه قال : عرض عليّ يزيد بن هرون نحو خمسمائة درهم فلم أقبلها . فقيل إن صيرفيّاً وصل أحمد بخمسمائة دينار فردها .

وقال صالح : دخلت على أبي أيامٍ الوائق ، واللهُ يعلم كيف حائنا ، فإذا تحت لبدته ورقة فيها : يا أبا عبد الله ، بلغني ما أنت فيه من الضيق ، وقد وجهتُ إليك بأربعة آلاف درهم . فلما ردَّ أبي من صلاته قلت : ما هذا ؟ فاحمر وجهه ، فقال : رفعتها منك ، ثم قال : تذهب بجوابه ، فكتب إلى الرجل : وصل كتابك ونحن في عافية ، فأما الذين فرجل لا يُرهقنا ، وأما العيال فهم في نعمة الله ، فذهبتُ

بالكتاب ، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك ، فامتنع ، فلما مضى نحو سنة ذكرناها ، فقال : لو أنا قبلناها كانت قد ذهبت .

وقال جماعة : حدثنا سلمة بن شبيب قال : كنا في أيام المعتصم عند أحمد بن حنبل ، فدخل رجل فقال : من منكم أحمد بن حنبل ؟ فسكتنا ، فقال أحمد : ها أنذا ، قال : جئت من أربعمائة فرسخ برًا وبحرًا ، كنت ليلة جمعة نائمًا فأتاني آت فقال لي : تعرف أحمد بن حنبل ؟ قلت : لا ، قال : فأت بغداد وسل عنه ، فإذا رأيته قتل : إن الخضر يقرئك السلام ويقول : إن ساكن السماء الذي على عرشه راض عنك ، والملائكة راضون عنك بما صفوت نفسك لله

فصل في آدابه

قال عبد الله بن أحمد : رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه فيضعها على فمه يقبلها ، وأحسب أني رأيته يضعها على عينه ويفمسها في الماء ويشربه يستشفي به ، ورأيته قد أخذ قصعة النبي صلى الله عليه ففعلها في جب الماء ثم شرب فيها ، ورأيته يشرب ماء زمزم يستشفي به ويمسح به يديه ووجهه .

وقال أحمد بن سعيد الدارمي : كتب إلي أحمد بن حنبل : لأبي جعفر أكرمه الله ، من أحمد بن حنبل .

وعن سعيد بن يعقوب قال : كتب أحمد : من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب ، أما بعد ، فإن الدنيا داء ، والسلطان داء ، والعالم طيب ، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره ، والسلام عليك .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الذهبي : حدثني أبي قال : مضى عمي أبو إبراهيم أحمد بن سعد إلى أحمد بن حنبل فسلم عليه ، فلما رآه وثب قائمًا وأكرمه .

قال المروزي : قال لي أحمد : ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به ، حتى
مرّ بي أن النبي صلى الله عليه احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً ، فأعطيتُ الحجام
ديناراً حين احتجمت .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عبد الله بن أبي عمر البكري قال : سمعت عبد الملك
الليموني يقول : ما أعلمُ أني رأيتُ أحداً أنظفَ ثوباً ولا أشدَّ تعاهداً لنفسه في شاربهِ
وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوباً وشدةً بياضٍ ، من أحمد بن حنبل .

وقال الخلال : أخبرني محمد بن الجعيد أن المروزي حدثهم قال : كان أبو عبد الله
لا يدخل الحمام ، وكان إذا احتاج إلى النورة تنوّر في البيت ، وأصلحت له غير مرة
النورة ، واشترت له جلدأً ليده يُدخل يده فيه ويتنوّر .

وقال حنبل : رأيت أبا عبد الله إذا أراد القيام قال جلسائه : إذا شئتم .

وقال المروزي : رأيت أبا عبد الله قد ألقى خلتان درهمين في الطست .

وقال موسى بن هرون : سئل أحمد بن حنبل فقيل له : أين يطلب البدلاء؟^(١)
فسكت حتى ظننا أنه لا يجيب ، ثم قال : إن لم يكن من أصحاب الحديث فلا أدري .
وقال المروزي : كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خففته العبء ، وكان يقول :
الخوفُ يمنعني أكل الطعام والشراب .

وقال : إذا ذكر الموت هان علي كل شيء من أمر الدنيا ، وإنما هو طعامٌ دون
طعام ، ولباسٌ دون لباس ، وإنها أيام قلائل ، ما أعدلُ بالفقر شيئاً .

وقال : لو وجدتُ السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر .

وقال : أريد أن أكون في بعض تلك الشعاب بمكة حتى لا أعرف ، قد
بليتُ بالشهرة ، إني لأتمنى الموت صباحاً ومساءً .

وقال المروزي : ذكر لأحمد أن رجلاً يريد لقاءه ، فقال : أليس قد كره
بعضهم اللقاء ، يترزّن لي وأنزئّن له ؟ !

وقال : لقد استرحتُ ، ما جاءني الفرجُ إلا منذ خلقتُ أن لا أحدثُ ، وليتنا نتركُ ، الطريق ما كان عليه بشر بن الحرث .

وقال المروزي : قلت لأبي عبد الله : إن فلاناً قال لم يزهد أبو عبد الله في الدراهم وحدها ، قد زهد في الناس ، فقال : ومن أنا حتى أزهد في الناس ؟ ! الناس يريدون أن يزهدوا في .

وسمعت أبا عبد الله يكره للرجل أن ينام بعد العصر ، يخاف على عقله .
وسمته يقول : لا يُفلح من تعاطى الكلام ، ولا يخلو من أن يتجهم .
وسئل عن القراءة بالألحان ، فقال : هذه بدعة ، لا تسمع ، وكان قد قارب الثمانين ، رحمه الله .

فصل

في قوله في أصول الدين

قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، البر كله من الإيمان ، والمعاصي تنقص من الإيمان .

وقال إسحق بن إبراهيم البغوي : سمعت أحمد بن حنبل ، وسئل عن يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : كافر .

وقال سامة بن شبيب : سمعت أحمد يقول : من يقول القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال أبو إسماعيل الترمذي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : من قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال إسماعيل بن الحسن السراج : سألت أحمد عن يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : كافر ، وعن يقول لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فقال : جهمي .

وقال صالح بن أحمد : تنهى إلى أبي أن أبا طالب يحكي أنه يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق ، فأخبرت أبي بذلك ، فقال : من أخبرك ! قلت : فلان ، فقال : ابعث إلى أبي طالب ، فوجهت إليه ، فجاء وجاء فوران ، فقال له ، أبي : أنا قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق ؟! وغضب ، وجعل يرعد ، فقال : قرأت عليك (قل هو الله أحد) فقلت لي ليس هذا بمخلوق ، فقال : فلم حكيت عني أبي قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق ؟! وبلغني أنك وضعت ذلك في كتاب وكتبت به إلى قوم ، فأخذه ، واكتب إلى القوم أبي لم أقله لك ، فجعل فوران يعتذر إليه ، وانصرف من عنده وهو مرعوب ، فعاد أبو طالب فذكر أنه قد كان حكى ذلك من كتابه ، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي .

قلت : الذي استقرّ عليه قول أبي عبد الله أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع .

وقال أحمد بن زنجويه : سمعت أحمد بن حنبل يقول : اللفظية شر من الجهمية .

وقال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : افترت الجهمية على ثلاث فرق : فرقة قالوا القرآن مخلوق ، وفرقة قالوا القرآن كلام الله تعالى وسكتوا ، وفرقة قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق .

وقال أبي : لا يصلي خلف واقفي ولا خلف لفظي .

وقال المروزي : أخبرني أبا عبد الله أن أبا شعيب السوسي الذي كان بالرقّة فرّق بين ابنته وزوجها لما وقف في القرآن ، فقال : أحسن عافاه الله ، وجعل يدعو له . وقد كان أبو شعيب شاوور النقيلي فأمره أن يفرق بينهما .

قال المروزي : ولما أظهر يعقوب بن شعبة الوقف حذر أبو عبد الله عنه ، وأر بهجرانه وهجران من كلمه .

قلت : ولأبي عبد الله في مسألة اللفظ نصوص متعددة .

وأول من أظهر اللفظ الحسين بن علي الكرايسي ، وذلك في سنة أربع وثلاثين ومائتين . وكان الكرايسي من كبار الفقهاء .

وقال المروذي في كتاب القصص : عزم حسن بن البزار وأبو نصر بن عبد المجيد وغيرها على أن يجهزوا بكتاب المدلسين الذي وضعه الكرايسي يطعن فيه على الأعمش وسليمان التيمي ، فضيت إليه في سنة أربع وثلاثين فقلت : إن كتابك يريد قوم أن يعرضوه على أبي عبد الله ، فأظهر أنك قد ندمت عليه ، فقال : إن أبا عبد الله رجل صالح ، مثله يُوفَّق لإصابة الحق ، قد رضيت أن يُعرض عليه ، لقد سألتني أبو ثور : أن أحوه ، فأبيت . فجيء بالكتاب إلى أبي عبد الله ، وهو لا يعلم لمن هو ، فعملوا على مستبشرات من الكتاب ، وموضع فيه وضع على الأعمش ، وفيه : إن زعمتم أن الحسن بن صالح كان يرى السيف فهذا ابن الزبير قد خرج . فقال أبو عبد الله : هذا أراد نصره الحسن بن صالح فوضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد جمع للروافض أحاديث في هذا الكتاب ، فقال أبو نصر : إن فتياننا يختلفون إلى صاحب هذا الكتاب ؟ فقال : حذروا عنه ، ثم انكشف أمره فبلغ الكرايسي ، فبلغني أنه قال : سمعت حسيناً الصائغ يقول : لأقولن مقالةً حتى يقول أحمد بن حنبل بخلافها فيكفر ، فقال : لفظي بالقرآن مخلوق ، فقلت لأبي عبد الله : إن الكرايسي قال لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال أيضاً : أقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات إلا أن لفظي بالقرآن مخلوق ، ومن لم يقل إن لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر ، فقال

أبو عبد الله : بل هو الكافر ، فأنله الله ، وأي شيء قالت الجهمية إلا هذا ؟ ! قالوا : كلام الله ، ثم قالوا : مخلوق ، وما ينفعه وقد نقض كلامه الأخير كلامه الأول حين قال لفظي بالقرآن مخلوق ؟ ! ثم قال أحمد : ما كان الله ليدعاه وهو يقصد إلى التابعين ، مثل سليمان الأعمش وغيره ، يتكلم فيهم ، مات بشر المريسي وخلفه حسين الكرايسي ،

ثم قال : أيش خبرُ أبي ثورٍ ؟ وافقه على هذا ؟ قلت : قد هجره ، قال : قد أحسن ، قلت : إني سألت أبا ثور عن قال لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فقال : مبتدع ، فغضب أبو عبد الله ، وقال : أيش مبتدع ؟ ! هذا كلام جهل بعينه ، ليس يفلح أصحابُ الكلام .

وقال عبد الله بن أحمد : سئل أبي وأنا أسمع عن اللفظية والواقفية ؟ فقال : من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي .

فقال الحكم بن معبد : حدثني أحمد أبو عبد الله الدؤري قال : قلت لأحمد بن حنبل : ما تقول في هؤلاء الذين يقولون لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فرأيت أنه استوى واجتمع وقال : هذا شرٌّ من قول الجهمية ، من زعم هذا فقد زعم أن جبريل تكلم بمخلوق وجاء إلى النبي صلى الله عليه بمخلوق !

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي سمعت أبا طالب أحمد بن موسى بن حميد قال : قلت لأحمد بن حنبل : قد جاءت جهمية رابعة ، فقال : ما هي ؟ قلت : قال إنسان من زعم أن في صدره القرآن فقد زعم أن في صدره من الإلهية شيء ! فقال : من قال هذا فقد قال مثل قول النصارى في عيسى أن كلمة الله فيه ! ما سمعت بمثل هذا قط ! قلت : أهذه الجهمية ؟ قال : أ أكبر من الجهمية ، ثم قال : قال النبي صلى الله عليه : يُنَزَّع القرآن من صدوركم .

قلت : المفوظ كلام الله ، وهو غير مخلوق ، والتلفظ مخلوق ، لأن التلفظ من كسب القارئ ، وهو الحركة والصوت وإخراج الحروف ، فإن ذلك مما أحدثه القارئ ، ولم يحدث حروف القرآن ولا معانيه ، إنما أحدث نطقه به ، فاللفظ قدر مشترك بين هذا وهذا ، ولذلك لم يُجَوِّز الإمام أحمد « لفظي بالقرآن مخلوق » ولا « غير مخلوق » إذ كل واحد من الإطلاقين مُوهِمٌ . والله أعلم .

وقال أبو بكر الخلال : أخبرني أحمد بن محمد بن مطر وزكريا بن يحيى

أن أبا طالب حدثهم أنه قال لأبي عبد الله : جاءني كتاب من طرسوس أن سريراً السَّقَطِيّ قال : لما خلق الله الحروف سجدت إلا الألف فإنه قال لا أسجد حتى أومن ! فقال : هذا الكفر .

فرحم الله الإمام أحمد ، ما عنده في الدين محابة .

قال الخلال : أنبأنا محمد بن أبي هرون أن إسحق بن إبراهيم حدثهم قال : حضرت رجلاً سأل أبا عبد الله فقال : يا أبا عبد الله ، إجماع المسلمين على الإيمان بالقدر خيره وشره ؟ قال أبو عبد الله : نعم . قال : ولا تكفر أحداً بذنْب ؟ فقال أبو عبد الله : اسكت ، من ترك الصلاة فقد كفر ، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال الخلال : أخبرني محمد بن سليمان الجوهري حدثنا عبدوس بن مالك العطار سمعت أحمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه الصحابة ، وترك البدع ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال ، وليس في السنة قياس ، ولا يضرب لها الأمثال ، ولا تدرك بالعقول ، والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنه من الله ليس ببيان منه ، وإياك ومناظرة من أحدث فيه ، ومن قال باللفظ وغيره ، ومن وقف فيه فقال لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق وإنما هو كلام الله فهو صاحب بدعة ، والإيمان بالرؤية يوم القيامة ، وأن النبي صلى الله عليه رأى ربه ، فإنه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه ، رواه قتادة والحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ، ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، والحديث عندنا على ظاهره ، على ما جاء عن النبي صلى الله عليه ، والكلام فيه بدعة ، ولكن تؤمن به على ما جاء على ظاهره ، وإن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان .

قال حنبل بن إسحق : قلت لأبي عبد الله : ما معنى قوله (وهو معكم) ، (وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) ؟ قال : علمه علمه . وسمعه يقول : ربنا تبارك وتعالى على العرش بلا حد ولا صفة .

قلت : معنى قوله بلا صفة ، أي بلا كيفية ولا وصف .

وقال أبو بكر المرؤذي : حدثني محمد بن إبراهيم القيسي قال : قلت لأحمد بن حنبل : يحكى عن ابن المبارك أنه قيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : في السماء على عرشه ، قال أحمد : هكذا هو عندنا .

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر .

وقال عبد الله بن أحمد في كتاب الرد على الجهمية تأليفه : سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت ؟ فقال أبي : بلى ، تكلم جل ثناؤه بصوت ، هذه الأحاديث نرونها كما جاءت . وقال أبي : حديث ابن مسعود « إذا تكلم الله سُمع له صوت كمدِّ السلسلة على الصفوان » قال : وهذه الجهمية تنكره ، وهؤلاء كفار ، يريدون أن يموهوا على الناس ، ثم قال : حدثنا الحاربي عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سُجداً .

وقال عبد الله : وجدت بخط أبي : مما يحتاج به على الجهمية من القرآن (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن) (إن الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته) (وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته)^(١)

(يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) (ألا له الخلق والأمر) (كل شيء هالك إلا وجهه) (ويبقى وجه ربك) (ولتضع على عيني) (وكلم الله موسى تكليماً) (يا موسى إني أنا ربك) (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) (وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غُلَّتْ أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان) .

قلت : وذكر آيات ، كثيرة في الصفات ، أنا تركت كتابتها هنا .

وقال يعقوب بن إسحق المطوعي : سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن التفضيل ؟ فقال : « غلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أبو بكر وعمر وعثمان .

وقال صالح بن أحمد : سئل أبي وأنا شاهد عن يقدم علياً على عثمان ، يُبَدَّعُ ، فقال : هذا أهل أن يُبَدَّعَ ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه قدّموا عثمان .
 وقال عبد الله بن أحمد : قلت لأبي من الرافضي ؟ قال : الذي يشتم رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه أو يتعرض لهم ، ما أراه على الإسلام .
 وقال أبو بكر المروزي : قيل لأبي عبد الله ونحن بالمسكر وقد جاء بعض رسل الخليفة فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية ؟ فقال : ما أقول فيهم إلا الحسنی .

وكلام الإمام أحمد كثير طيب في أصول الديانة ، لا يتسع هذا الكتاب لسياقه ، قد جمعه الخلال في مصنّف سماه (كتاب السنة عن أحمد بن حنبل) في ثلاث مجلدات .

فما فيه : أخبرنا المروزي سمعت أبا عبد الله يقول : من تعاطى الكلام لا يفلح ، من تعاطى الكلام لم يخل من أن يتجهّم .
 وسمعت أبا عبد الله يقول : لست أتكلّم إلا ما كان من كتاب أو سنة أو عن الصحابة والتابعين ، وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود .

(١) كتاب السنة عن الامام احمد بن حنبل مطبوع بمكة ١٣٤٩ هـ ، وطبع بالقاهرة بدون تاريخ ، وله أصل محفوظ بدار الكتب بالقاهرة (حديث ١٧٤٧) في ٢٨٧ ورقة نسخة حديثة بخط ردي .
 والذي وجدته انه لابن احمد بن حنبل ، وهو في العقيدة . واختصر في : المختار في أصول السنة لحسن بن احمد بن عبدالله المتوفى ٤٧١ هـ انظر : تاريخ التراث العربي ٢/٢٠٢ . وقد ذكر انه يوجد في صورته الصغرى بعنوان : اعتقاد أهل السنة من ٦٣ ورقة (حديث ٣٥٤) تيمور . القاهرة .
 ولعله هو الذي طبع في القاهرة بدون تاريخ . وانظر : طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/٣٢٤ - ٣٤٥ . ومعجم المؤلفين ٣/٢٠١ ، فهرست معهد المخطوطات ١/١٣٧ .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : من أحب الكلام لم يفلح ، لا يؤول أمرهم إلى خير . وسمعته يقول : عليكم بالسنة والحديث ، وإياكم والخوض والجدال والمرء ، فإنه لا يفلح من أحب الكلام . وقال لي : لا تجالسهم ولا تكلم أحداً منهم . ثم قال : أدركنا الناس وما يعرفون هذا ، ويجانبون أهل الكلام . وسمعته يقول : ما رأيت أحداً طلب الكلام واشتهاه فأفلح ، لأنه يخرج به إلى أمر عظيم ، لقد تكلموا يومئذ بكلام واحتجوا بشيء فما يقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيه .

قال الخلال : أخبرني محمد بن أبي هرون حدثنا أبو الحرث : سمعت أبا عبد الله يقول : قال أيوب : إذا تمرق أحدكم لم يعد .

وقال الخلال : أخبرنا أحمد بن أصرم المزني قال : حضرت أحمد بن حنبل قال له العباس الهمداني : إني ربما رددت عليهم ، قال أحمد : لا ينبغي الجدال . ودخل أحمد للمسجد وصلى ، فلما انقضى قال : أنت عباس ؟ قال : نعم ، قال : اتق الله ، ولا ينبغي أن تنصب نفسك وتشتهر بالكلام ولا بوضع الكتب ، لو كان هذا خيراً لتقدمنا فيه الصحابة ، ولم أر شيئاً من هذه الكتب ، وهذه كلها بدعة . قال : مقبول منك يا أبا عبد الله ، أستغفر الله وأتوب إليه ، إني لست أطلبهم ولا أدق أبوابهم ، ولكن أسمعهم يتكلمون بالكلام وليس أحد يرد عليهم فأغتم ولا أصبر حتى أرد عليهم ، قال : إن جاءك مسترشد فأرشده ، قالها مراراً .

قال الخلال : أخبرنا محمد بن أبي هرون ومحمد بن جعفر أن أبا الحرث حدثهم قال : سألت أبا عبد الله ، قلت : إن ههنا من يناظر الجهمية ويبين خطأهم ويدقق عليهم المسائل ، فما ترى ؟ قال : لست أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء ، ولا أرى لأحد أن يناظرهم ، أليس قال معاوية بن قرة : الخصومات تحبط الأعمال ؟ والكلام ردي ، لا يدعو إلى خير ، تجنبوا أهل الجدال والكلام ، وعليك بالسنن وما كان عليه أهل العلم قبلكم ، فإنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل

البدع ، وإنما السلامة في ترك هذا ، لم تؤمر بالجدال والخصومات . وقال : إذا رأيتم من يجب الكلام فاحذروه .

قال ابن أبي داود : حدثنا موسى أبو عمران الأصبهاني سمعت أحمد بن حنبل يقول : لا تجالس أصحاب الكلام وإن ذَبُّوا عن السنة .

وقال الميموني : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما زال الكلام عند أهل الخير مذموماً .

قلت : ذمُّ الكلام ونعْلِهِ قد جاء من طرق كثيرة عن الإمام أحمد وغيره .

فصل من سيرته

قال الخلال : قلتُ لزهير بن صالح بن أحمد : هل رأيت جدك ؟ قال : نعم ، مات وقد دخلتُ في عشر سنين . كنا ندخل إليه في كل يوم جمعة أنا وأخواتي ، وكان ينننا وبينه باب ، وكان يكتب لكل واحد منا حبتين حبتين من فضة في رقعة إلى فامي يعامله ، فنأخذ منه الحبتين وتأخذ الأخوات ، وكان ربما مررتُ به وهو قاعد في الشمس وظهره مكشوف وأثر الضرب في ظهره ، وكان لي أخ أصغر مني اسمه « علي » فأراد أبي أن يحنّته ، فاتخذ له طعاماً كثيراً ، ودعا قوماً ، فلما أراد أن يحنّته وجّه إليه جدي فقال : إنه بلغني ما أحدثته لهذا الأمر ، وقد بلغني أنك أسرفت ، فابداً بالفقراء والضعفاء فأطعمهم . فلما أن كان من الغد وحضر الحجامُ وحضر أهلنا ، فجاء جدي حتى جلس في الموضع الذي فيه الصبي ، وأخرج صُريرةً فدفعها إلى الحجام ، وصُريرةً دفعها إلى الصبي ، وقام فدخل منزله ، فنظر الحجام في الصريرة فإذا درهم واحد ، وكنا قد رفنا كثيراً مما افترش ، وكان الصبي على مصطبة مرتفعة على شيء من الثياب الملونة ، فلم ينكر ذلك . وقدم علينا من خراسان ابنُ خالة جدي ، فنزل على أبي ، وكان يُكنى بأبي أحمد ، فدخلت معه إلى جدي ، فجاءت الجارية

بطبق خِلافٍ وعليه خبز و بقل و خَلَّ و مِلَحٌ ، ثم جاءت بمُضارة فوضعتها بين أيدينا ، فيها مصلية فيها لحم و سلق كثير ، فجعلنا نأكل وهو يأكل معنا ، ويسأل أبا أحمد عن بقي من أهلهم بخراسان في خلال ما يأكل ، فرجما استعجم الشيء على أبي أحمد فيكلمه جدي بالفارسية ، ويضع القطعة اللحم بين يديه و بين يدي ، ثم رَفَعَ المضارة بيده فوضعها ناحية ، ثم أخذ طبقاً إلى جنبه فوضعه بين أيدينا ، فإذا تمر برى وجوز مكسّر ، وجعل يأكل ، وفي خلال ذلك يناول أبا أحمد .

وقال عبد الملك الميموني : كثيراً ما كنت أسأل أبا عبد الله عن الشيء ، فيقول : لَيْبِكَ لَيْبِكَ .

وعن المروذي قال : لم أر الفقير في مجلس أعزّ منه في مجلس أبي عبد الله ، كان مائلاً إليهم مقصراً عن أهل الدنيا ، وكان فيه حلم ، ولم يكن بالقجول ، وكان كثير التواضع ، تعلوه السكينة والوقار ، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل ، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدّر ، يقعد حيث انتهى به المجلس .

وقال الطبراني : حدثنا موسى بن هرون سمعت إسحق بن راهويه يقول : لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة ، فأكرّم نفسه من حمّالين إلى أن جاء صنعاء ، وعرض عليه أصحابه المواساة فلم يقبل .

قال الفقيه علي بن محمد بن عمر الرازي : سمعت أبا عمر غلام ثعلب سمعت أبا القاسم بن بشار الأنماطي سمعت المزني سمعت الشافعي يقول : رأيت ببغداد ثلاث أعجوبات : رأيت بها نبطياً يتنحى علي حتى كأنه عربي وكأني نبطي ! ورأيت أعرابياً يلحن حتى كأنه نبطي ! ورأيت شاباً وخطه الشيب فإذا قال حدثنا قال الناس كلهم : صدق . قال المزني : فسألته ، فقال : الأول الزعفراني . والثاني أبو ثور الكلبي ، وكان لحناً ، وأما الشاب فأحمد بن حنبل .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : رأيت أبي حَرَج على النمل أن يخرج النمل

من داره ، ثم رأيت النمل قد خرجن بعد ذلك ، تملأ سوداً ، فلم أرهم بعد ذلك ، رواها أحمد بن محمد اللثباني عنه .

قال أبو الفرج بن الجوزي : لما وقع الفرق سنة أربع وخمسين وخمسمائة غرقت كتبني وسلم لي مجلد فيه ورقتان بخط الإمام أحمد .

ومن نهى أبي عبد الله عن الكلام : قال المروزي : أخبرت قبل موت أبي عبد الله بسنتين أن رجلاً كتب كتاباً إلى أبي عبد الله يشاوره في أن يضع كتاباً يشرح فيه الرد على أهل البدع ، فكتب إليه أبو عبد الله ، قال الخلال : وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال : كتب رجل إلى أبي عبد الله ، قال : وأخبرني محمد بن علي الوراق حدثنا صالح بن أحمد قال : كتب رجل إلى أبي يسأل عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم ؟ فأملى عليّ أبي جواب كتابه :

أحسن الله عاقبتك ، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ ، وإنما الأمر في التسليم والانتها إلى ما في كتاب الله ، لا تعد ذلك ، ولم يزل الناس يكرهون كل محدث ، من وضع كتاب وجلوس مع مبتدع ليورد عليه بعض ما يلبس عليه في دينه .

وقال المروزي : بلغني أن أبا عبد الله أنكر على وليد الكرايسي مناظرته لأهل البدع .

وقال المروزي : قلت لأبي عبد الله : قد جاؤوا بكلام فلان ليُعرض عليك ، وأعطيته الرقعة ، فكان فيها : والإيمان يزيد وينقص فهو مخلوق ، وإنما قلت إنه مخلوق على الحركة والفعل لا على القول ، فمن قال الإيمان مخلوق وأراد القول فهو كافر . فلما قرأها أحمد وانتهى إلى قول « الحركة والفعل » غضب ورمى بها ، فقال :

هذا مثل قول الكرايسي ، إنما أراد الحركات مخلوقة ، إذا قال الإيمان مخلوق فأني شيء بقي ؟ ليس يفلح أصحاب الكلام .

قلت : إنما حط عليه أحمد بن حنبل لكونه خاض ودقق وقسم ، وفي هذا عبرة وزاجر ، والله أعلم . فقد زجر الإمام أحمد كما ترى في قصة الرقعة التي في الإيمان ، وهي والله بحث صحيح وتقسيم مليح ، والله قد قدم من أطلق الخلق على الإيمان باعتبار قول العبد لا باعتبار مقوله ، لأن ذلك نوع من الكلام ، وهو كان يذم الكلام وأهله وإن أصابوا ، وينهى عن تدقيق النظر في أسماء الله وصفاته ، مع أن محمد بن نصر المروزي قد سمع إسحق بن راهويه يقول : خلق الله الإيمان والكفر والخير والشر .

فصل

في زوجاته وأولاده

قال زهير بن صالح بن أحمد : تزوج جدي بأبى أبي عباس بنت الفضل ، من العرب من الرض ، لم يولد له منها غير أبي ، ثم ماتت .

قال المروزي سمعت أبا عبد الله يقول : أقامت معي ، أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهي في كلمة .

وقال زهير : لما ماتت عباس بنت ززوج جدي بعدها امرأة من العرب يقال لها ربحانة ، فولدت له عبد الله وحده .

وقال أبو بكر الخلال : حدثنا أحمد بن محمد بن خلف البرائي أخبرني أحمد بن عبث قال : لما ماتت أم صالح قال أحمد لامرأة عندهم : اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبها لي من نفسها ، قالت : فأتيتها فأجابته ، فلما رجعت إليه قال : كانت أختها

تسمع كلامك؟ قال : وكانت بعين واحدة ، فقالت له : نعم ، قال : فاذهبي فاخطبي تلك التي بعين واحدة ، فأتتها فأجابته ، وهي أم عبد الله ابنه ، فأقام معها سبعا ، ثم قالت له : كيف رأيت يا ابن عمي ؟ أنكرت شيئا ؟ قال : لا ، إلا أن نعلك هذه تَصِرُّ

فما تقدم وهم ، من أن أحمد رحمه الله تزوج بهذه بعد موت أم صالح ، وذلك لا يستقيم ، لأن عبد الله وُلد لأحمد ولأحمد خمسون سنة غير أشهر ، وكان صالح أكبر من عبد الله بسنوات ، لأنه سمع من عفان وأبي الوليد ، وذكر أبو يعقوب الهروي وغيره أن صالحا وُلد سنة ثلاث ومائتين ولأبيه إذ ذاك تسع وثلاثون سنة ، فصالح أكبر من عبد الله بعشرين سنة . والله أعلم .

وقال الخلال : حدثني محمد بن العباس حدثنا محمد بن علي حدثني أبو بكر بن يحيى قال : قال أبو يوسف بن بختان : لما أمرنا أبو عبد الله أن نشتري له الجارية ، مضيت أنا وفوران ، فتبعني أبو عبد الله ، فقال لي : يا أبا يوسف ويكون لها لحم . قال زهير بن صالح : لما توفيت أم عبد الله اشترى « حُسن » فولدت منه زينب ثم الحسن والحسين توأما^(٣) ، وماتا بالقرب من ولادتهما ، ثم ولدت الحسن ومحمدا ، فعاشا ثم ، حتى صارا من السن إلى نحو من الأربعين سنة ، ثم ولدت ، بعدهما سعيدا .

قال الخلال : وحدثنا محمد بن علي بن بحر سمعت حُسنَ أم ولد أبي عبد الله تقول : قلت لمولاي : يا مولاي ، أصرف فرد خلخالتي ؟ قال : وتطيب نفسك ؟ قلت : نعم ، قال : الحمد لله الذي وقتك لهذا ، قالت : فأعطيته أبا الحسن بن صالح فباعه بثمانية دنانير ونصف ، وفرقها وقت حملي ، فلما ولدت حسنا أعطى مولائي كرامة درهما ، وهي امرأة كبيرة كانت تخدمهم ، وقال لها : اذهبي إلى ابن شجاع القصاب

ما أملك غيرَ هذا الدرهم ، ومالكٍ عندي غيرَ هذا اليوم ، قالت : وكان إذا لم يكن
عندمولاي شيءٌ فَرِحَ يومَهُ ذلك ، فدخل يوماً فقال لي : أريد أن أحْتَجِمَ اليومَ ،
وليس معه شيءٌ ، فحُتَّ إلى جَرَّةٍ لي فيها غزل فبَعَثَهُ بأربعة دراهم ، فاشترتُ
لحمًا بنصف درهم ، وأعطى الحجامَ درهماً ، واشترتُ طيباً بدرهم ، ولما خرج
إلى سُرْمَنَ رأى كُنْتَ قد غزَلْتُ غَزْلاً لَيْناً وعَمِلْتُ ثوباً حسناً ، فلما قدم أخرجه
إليه ، قال : ما أريده ، فدفعته إلى فوران فباعه باثنتين وأربعين درهماً ، واشترت
منه قطناً فغزلته ثوباً كبيراً ، فلما أعلمته قال : لا تقطعيه ، دَعِيهِ ، فكان كَفَنَهُ ،
كُفِّنَ فيه ، وأخرجتُ الغليظَ فقطَعَهُ .

وعن أحمد بن جعفر بن المنادي : أن أبا عبد الله اشترى جارية بثمان يسير ،
سمها ريحانة ، لينسرى بها .

لم يتابع ابنُ المنادي على هذا .

قال حنبل : ولد سعيد قبل موت أحمد بنحو من خمسين يوماً .

وقال بعض الناس : ولي سعيد قضاء الكوفة ، ومات سنة ثلاث وثلاثمائة .
وهذا لا يصح ، فإن سعيداً ولد قبل موت أبيه ، ومات قبل موت أخيه
عبد الله بدهر ، لأن إبراهيم الحربي عَزَى عبد الله بأخيه سعيد .

وأما الحسن ومحمد قال ابن الجوزي : فلم نعرف من أخبارهما شيئاً .

وأما زينب فكبرت وتزوجت .

وله بنت اسمها فاطمة ، إن صح ذلك .

ذكر المحنة

ما زال المسلمون على قانون السلف ، من أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه
وتنزيله غير مخلوق ، حتى نبقت المعتزلة والجهمية ، فقالوا بخلق القرآن ، مستترين
بذلك في دولة الرشيد .

فروى أحمد بن إبراهيم الدؤزقي عن محمد بن نوح : أن هرون الرشيد قال :
 نبي أن بشر بن غياث يقول : القرآن مخلوق ، لله عليّ إن أظفرتني به لأقتلنه . قال
 مدركي : وكان بشر متوارياً أيام الرشيد ، فلما مات ظهر بشر ودعا إلى الضلالة .

قلت : ثم إن المأمون نظر في الكلام ، وباحث المعتزلة ، وبقي يقدم رجلاً
 ويؤخر أخرى في دعاء الناس إلى القول بخلق القرآن ، إلى أن قوي عزمه على ذلك
 في السنة التي مات فيها ، كما سقناه .

قال صالح بن أحمد بن حنبل : حُجِلَ أبي ومحمد بن نوح مقيدين ، فصرنا معهم
 إلى الأنبار ، فسأل أبو بكر الأحولُ أبي ، فقال : يا أبا عبد الله : ، إن عُرِستَ على
 السيف تجيب ؟ قال : لا . ثم سُبِّرَا ، فسمعت أبي يقول : صرنا إلى الرحبة ورحلنا
 منها ، وذلك في جوف الليل ، فعرض لنا رجل ، فقال : أيكم أحمد بن حنبل ؟
 فقيل له : هذا ، فقال للجَمَّال : على رِسْلِكَ ، ثم قال : يا هذا ، ما عليك أن تُقتل
 ههنا وتدخل الجنة ، ثم قال : أستودعك الله ، ومضى . قال أبي : فسألت عنه ،
 فقيل لي : هذا رجل من العرب من ربيعة ، يعمل الشعر في البادية ، يقال له
 جابر بن عامر ، يُدْكَرُ بخير .

وروى أحمد بن أبي الحوازي : حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال : قال أحمد
 بن حنبل : ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلني بها
 في رَحْبة طوق ، قال : يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً ، وإن عشت عشت
 حميداً ، فقوي قلبي .

قال صالح بن أحمد : قال أبي : صرنا إلى أذَنَةِ (١) ، ورحلنا منها في جوف
 الليل ، وفتح لنا بابها ، فإذا رجل قد دخل ، فقال : البشرى ! قد مات الرجل ،
 يعني المأمون ، قال أبي : وكنت أدعو الله أن لا أراه .

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : تبينت الإجابة في دعوتين : دعوت الله أن لا يجمع بيني وبين المأمون ، ودعوته أن لا أرى المتوكل ، فلم أر المأمون ، مات بالبذندون^(١) ، وهوهر الروم ، وأحمد محبوس بالرقعة ، حتى بويع المعتصم بالروم ، ورجع فردّ أحمد إلى بغداد ، وأما المتوكل فإنه لما أحضر أحمد دار الخلافة ليحدث ولده ، قعدله المتوكل في خوخة ، حتى نظر إلى أحمد ولم يره أحمد .

قال صالح : لما صدر أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس ردّا في أقيادها ، فلما صارا إلى الرقة حملا في سفينة ، فلما وصلا إلى عانات توفي محمد ، فأطلق عنه قيده ، وصلى عليه أبي .

وقال حنبل : قال أبو عبد الله : ما رأيت أحداً على حداثة سنّه وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، وإني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير ، قال لي ذات يوم : يا أبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، إنك رجل يُقَدَّرُ بك ، قدّمت الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله وانبت لأمر الله ، أو نحو هذا ، فمات وصليت عليه ودفنته ، أظنه قال : بمانة^(١) .

قال لي صالح : وصار أبي إلى بغداد مقيداً ، فكث بالياسرية يوماً ، ثم حبس في دار أكثريت عند دار عمارة ، ثم نقل بعد ذلك إلى حبر لعامة في درب الموصلية ، فقال أبي : كنت أصلي بأهل السجن وأنا مقيد ، فلا كان في رمضان سنة تسع عشرة حوّلت إلى دار إسحق بن إبراهيم .

وأما حنبل بن إسحق فقال : حبس أبو عبد الله في دار عمارة بين في إصطبل لمحمد بن إبراهيم أخو إسحق بن إبراهيم ، وكان في شهر ضيق ، ومرض في رمضان ، فحبس في ذلك الحبس قليلاً ، ثم حوّل إلى دار العامة ، فكث في سجن نحواً

(١) البذندون : قرية قريبة من طرسوس .

من ثلاثين شهراً ، فكنا نأتيه ، وقرأ عليّ كتاب الإرجاء وغيره في الحبس ، فرأيت
يصلي بأهل الحبس وعليه القيد ، فكان يخرج رجله من حلقة القيد وقت
الصلاة والنوم .

رجعنا إلى ما حكاه صالح بن أحمد عن أبيه لما حوّل إلى دار إسحق بن
إبراهيم : فكان يوجه إليّ كل يوم رجلين ، أحدهما يقال له أحمد بن ربّاح ، والآخر
أبو شعيب الحجام ، فلا يزالان يناظراني ، حتى إذا أرادا الانصراف دُعِيَ بقيد
فزيد في قيودي . قال : فصار في رجله أربعة أقياد . قال أبي : فلما كان في اليوم
الثالث دخل عليّ أحد الرجلين فناظرني ، فقلت له : ما تقول في علم الله ؟ قال :
علم الله مخلوق ، فقلت له : كفرت ^(١) فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل
إسحق بن إبراهيم : إن هذا رسول أمير المؤمنين ، فقلت له : إن هذا قد كفر ، فلما
كان في الليلة الرابعة وجهه ، يعني المعتصم ، بيغاً الذي كان يقال له الكبير ، إلى إسحق
فأمره بحملني إليه ، فأدخلت على إسحق ، فقال : يا أحمد ، إنها والله نفسك ، إنه
لا يقتلك بالسيف ، إنه قد آلى إن لم تحبه أن يضربك ضرباً بعد ضرب ، وأن يقتلك
في موضع لا ترى فيه شمس ولا قمر ، أليس قد قال الله عز وجل : (إنا جعلناه
قرآناً عربياً) أف يكون مجعولاً إلا مخلوقاً ؟ فقلت : قد قال الله تعالى (فجعلهم
كعصف ما كول) أفخلّقهم ؟ قال : فسكت ، فلما صرنا إلى الموضع المعروف بباب
الستان أخرجت ، وحيء بدابة فحملتُ عليها وعليّ الأقياد ، ما معي أحد يمسكني ،
فكدت غير مرة أن أخرج على وجهي لثقل القيود ، فجيء بي إلى دار المعتصم ،
فأدخلت حجرة وأدخلت إلى بيت ، وأقفل الباب عليّ ، وذلك في جوف الليل ،
وليس في البيت سراج ، فأردت أن أتمسح للصلاة ، فددت يدي ، فإذا أنا بآناء
فيه ماء وطست موضوع ، فتوضأت وصليت ، فلما كان من الغد أخرجت تكيئي
من سراويلي وشدّدتُ بها الأقياد أحملها ، وعطفت سراويلي ، فجاء رسول المعتصم

فقال : أجب ، فأخذ بيدي وأدخلني عليه والتكئة في يدي أحمل بها الأقياد ، وإذا هو جالس وابنُ أبي دؤادٍ حاضر ، وقد جمع خلقاً كثيراً من أصحابه ، فقال لي ، يعني المعتصم : ادنُ ، ادنُ ، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ، ثم قال لي : اجلس فجلست ، وقد أثقلتني الأقياد ، فمكثت قليلاً ، ثم قلت : أتاذن لي في الكلام ؟ فقال : تكلم ، فقلت : إلى ماذا دعا اللهُ ورسولُه ^(٢) ؟ فسكتَ هنيهةً ، ثم قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فقلت : فأننا أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قلت : إن جدك ابن عباسٍ يقول : « لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وآله سألوه عن الإيمان ، فقال : أندرون ما الإيمان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، وأن تعطوا الخمسَ من المغنم » ^(١) ، قال : أبي قال ، يعني المعتصم : لولا أنني وجدتكَ في يد من كان قبلي ما عرضتُ لك .

ثم قال : يا عبد الرحمن بن إسحق ، ألم أمرُك برفع الحنة ؟ ! فقلت : الله أكبر ، إن في هذا لفرجاً للمسلمين ، ثم قال لهم : ناظروه ، كلوه ، يا عبد الرحمن كله ، فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ قلت له : ما تقول في علم الله ؟ فسكت ، فقال لي بعضهم : أليس قال الله تعالى (الله خالق كل شيء) والقرآن أليس هو شيء ؟ فقلت : قال الله تعالى (تدمرُ كلَّ شيءٍ بأمر ربها) فدمرتُ إلا ما أراد الله ؟ فقال بعضهم (ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدثٍ) أف يكون محدثٌ إلا مخلوقاً ؟ فقلت : قال الله : (ص . والقرآن ذي الذكر) فالذكر هو القرآن ، ويملك ! ليس فيها ألف ولا همزة . وذكر بعضهم حديثَ عمران بن حصين أن الله عز وجل خلق الذكر ، فقلت : هذا خطأ ، حدثنا غير واحد « إن الله كتب الذكر » . واحتجوا بحديث ابن مسعود « ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي » . فقلت :

(١) الحديث رواه أبوداود ، وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي

إِنَّمَا وَقَعَ الْخَلْقُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَى الْقُرْآنِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :
حَدِيثُ خُبَّابٍ « يَا هَتَّاءَ ، تَقَرَّبْ إِلَىَّ إِنَّمَا اسْتَطَعْتُ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرُبَ إِلَيَّ
بَشِيءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَلَامِهِ » ، قُلْتُ : هَكَذَا هُوَ .

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ : فَجَمَلَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ يَنْظُرُ إِلَى أَبِي كَالْمَغْضَبِ ، قَالَ
أَبِي : وَكَانَ يَتَكَلَّمُ هَذَا فَأَرَدَ عَلَيْهِ ، وَيَتَكَلَّمُ هَذَا فَأَرَدَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا انْقَطَعَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ
اعْتَرَضَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ فَيَقُولُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ وَاللَّهِ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ ! فَيَقُولُ :
كَلِمَهُ ، نَظَرُوهُ ، فَيَكَلِّمُنِي هَذَا فَأَرَدَ عَلَيْهِ ، وَيَكَلِّمُنِي هَذَا فَأَرَدَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا انْقَطَعُوا
يَقُولُ لِي الْمَعْتَصِمُ : وَيَحْكُ يَا أَحْمَدُ ، مَاذَا ؟ فَأَقُولُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعْطَوْنِي
شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ أَقُولُ لَهُ ، فَيَقُولُ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ : أَنْتَ
لَا تَقُولُ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قُلْتُ لَهُ : كَمَا تَأُولَتْ تَأُولَاتٍ فَأَنْتَ
أَعْلَمُ ، وَمَا تَأُولَتْ مَا يُجِبُّ عَلَيْهِ وَمَا يُقْبَدُ عَلَيْهِ .

وَقَالَ حَنْبَلٌ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَلَقَدْ احْتَجُّوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ مَا يَقْوَى قَلْبِي وَلَا يَنْطَلِقُ
لِسَانِي أَنْ أَحْكِيهِ ، أَنْكَرُوا الْآثَارَ ، وَمَا نَهَمُ عَلَى هَذَا حَتَّى سَمِعْتُ مَقَالَتَهُمْ ، وَجَعَلُوا
يَدْعُونَ بِقَوْلِ الْخَصْمِ وَكَذَا وَكَذَا ، فَاحْتَجَجْتُ عَلَيْهِمْ بِالْقُرْآنِ ، بِقَوْلِهِ (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ
مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) فَذَمُّ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ أَنْ عَبْدًا مَا لَا يَسْمَعُ
وَلَا يَبْصُرُ ، فَهَذَا مُنْكَرٌ عِنْدَكُمْ ؟ ! فَقَالُوا : شَبَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، شَبَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنجِي : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ أَقْبَلَ
عَلَى أَحْمَدَ يَكَلِّمُهُ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، حَتَّى قَالَ الْمَعْتَصِمُ : يَا أَحْمَدُ ، أَلَا تَكَلِّمُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟
قَالَ أَحْمَدُ : لَسْتُ أَعْرِفُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، لَعَنَهُ !

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ : وَجَمَلَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يَقُولُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَنْ أَجَابَكَ
لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فِيمَدَّ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ
يَمَدَّ ، فَقَالَ الْمَعْتَصِمُ : وَاللَّهِ لَنْ أَجَابَنِي لِأُطْلَقَنَّ عَنْهُ يَدَيَّ وَلَأُرْكَبَنَّ إِلَيْهِ بِجَنْدِي
وَلَأُطَانَّ عَقِبَهُ .

ثم قال : يا أحمد ، والله إني عليك لشفيق ، وإني لأشفق عليك كشفقتي على هرون ابني ، ما تقول ؟ فأقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله .

فلما طال المجلس ضجر وقال : قوموا ، وحسبي ، يعني عنده ، وعبد الرحمن بن إسحق يكلمني ، فقال المعتصم : ويحك أجبني ، فقال : ما أعرفك ! ألم تكن تأتينا ؟ فقال له عبد الرحمن بن إسحق : يا أمير المؤمنين ، أعرفه منذ ثلاثين سنة يرى طاعتك والجهاد والحج معك ، قال : فيقول : والله إنه لعالم ، وإنه لفقير ، وما يسوؤني أن يكون معي يردني عن أهل الملل . ثم قال لي : ما كنت تعرف صالحاً الرشيدي ؟ قلت : قد سمعت باسمه ، قال : كان مؤدبي ، وكان في ذلك الموضع جالساً ، وأشار إلى ناحية من الدار ، فسألته عن القرآن ، فخالفتني ، فأمرت به فوطىء وسُجِب !

ثم قال : يا أحمد ، أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي ، قلت : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله ، فطال المجلس وقام ، ورُدَدت إلى الموضع الذي كنت فيه .

فلما كان بعد المغرب وجه إليّ رجلين من أصحاب ابن أبي دؤاد ، يبيتان عندي ويناطران ويقيمان معي ، حتى إذا كان وقت الإفطار جيء بالطعام ، ويجهذان بي أن أفطر فلا أفعل ، ووجه إليّ المعتصم ابن أبي دؤاد في بعض الليل ، فقال : يقول : لك أمير المؤمنين : ما تقول ؟ فأرد عليه نحواً مما كنت أرد ، فقال ابن أبي دؤاد : والله لقد كتب اسمك في السبعة ، يحيى بن معين وغيره^(١) ، فحوته ، ولقد ساءني أخذهم إياك ، ثم يقول : إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضربك ضرباً بعد ضرب ، وأن يلقىك في موضع لا ترى فيه الشمس ، ويقول : إن أجباني جئت إليه حتى أطلق عنه يدي ، وانصرف .

فلما أصبح جاء رسوله ، فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه ، فقال لهم : ناظروه وكلوه ، فجعلوا يناظرونني فأرد عليهم ، فإذا جاؤوا بشيء من الكلام مما ليس في

الكتاب والسنة قلت : ما أدري ما هذا ؟ ! قال : يقولون : يا أمير المؤمنين ، إذا توجهت له الحجة علينا ثبت ، وإذا كلفناه بشيء يقول لا أدري ما هذا ، فقال : ناظروه .

فقال رجل : يا أحمد ، أراك تذكر الحديث وتنتحلّه ، قلت : ما تقول في (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ؟ قال : خص الله بها المؤمنين ، قلت : ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً ؟ فسكت ، وإنما احتججت عليهم بهذا لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن ، وحيث قال لي أراك تنتحل الحديث احتججت بالقرآن ، يعني فلم يزلوا كذلك إلى قرب الزوال ، فلما ضجر قال لهم : قوموا ، وخلاي وبعبد الرحمن بن إسحق ، فلم يزل يكلمني ، ثم قال أبي : قمام ودخل ، ورددت إلى الموضع .

قال : فلما كان في الليلة الثالثة قلت : خليك أن يحدث غداً من أمري شيء ، فقلت لبعض من كان معي ، الموكل بي : ارتدّ لي خيطاً ، فجاءني بخيط ، فشددت به الأقياد ورددت التكة إلى سراويلي ، مخافة أن يحدث من أمري شيء فأتعري ، فلما كان من الغد في اليوم الثالث وجه إلي ، فأدخلت ، فإذا الدار غاصة ، فجعلت أدخل من موضع إلى موضع ، وقوم معهم السيوف ، وقوم معهم السياط ، وغير ذلك ، ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء ، فلما انتهيت إليه ، قال : اقم ، ثم قال : ناظروه ، كلموه ، فجعلوا يناظرونني ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، وجعل صوتي يعلو أصواتهم ، فجعل بعض من على رأسه قائم يرمي إلي بيده ، فلما طال المجلس نحاني ثم خلا بهم ، ثم نحام وردني إلى عنده ، فقال : ويحك يا أحمد ! أجبني حتى أطلق عنك يدي ، فرددت عليه نحواً مما كنت أرد ، فقال لي : عليك ، وذكر اللعن ، وقال : خذوه واسحبوه واخلعوه ، قال : فسحبت ثم خلعت .

قال : وقد كان صار إليّ شعر من شعر النبي صلى الله عليه في كم قبصي ،

فوجه إليّ إسحق بن إبراهيم : ما هذا المصروع في كم قيصك ؟ قلت : شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه ، قال : وسمى بعض القوم إلى القميص ليخرقه علي ، فقال لهم ، يعني المعتصم : لا تخرقوه ، فنزع القميص عني ، قال : فظننت أنه إنما درى عن القميص الخرق بسبب الشعر الذي كان فيه ، قال : وجلس المعتصم على كرسي ، ثم قال : العقابين والسياط ! فجاء بالعقابين ، فددت يداي ، فقال بعض من حضر خلني : خذ ناي الخشبين بيديك وشده عليهما ، فلم أفهم ما قال ، فتخلعت يداي .

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي : ذكروا أن المعتصم لاین في أمر أحد لما علق في العقابين ، ورأى ثبوته وتصميمه وصلابته في أمره ، حتى أغراه ابن أبي دؤاد ، فقال له : إن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون وسخط قوله ، فهاجه ذلك على ضربه .

قال صالح : قال أبي : لما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم وقال : انتوني بغيرها ، ثم قال للجلادين : تقدموا ، فجعل يتقدم إليّ الرجل منهم فيضربني سوطين ، فيقول له : شد ، قطع الله يدك ! ثم يتنحى ويقوم الآخر فيضربني سوطين ، وهو يقول في كل ذلك : شد ، قطع الله يدك ! فلما ضربت تسعة عشر سوطاً قام إليّ ، يعني المعتصم : وقال : يا أحمد ، علام تقتل نفسك ؟ إني والله عليك لشفيق ، قال : فجعل عجيف ينخسني بقائمة سيفه ، وقال : أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم ؟ وجعل بعضهم يقول : ويلاك ، الخليفة على رأسك قائم ! وقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ، دمه في عنقي ، اقله ! وجعلوا يقولون : يا أمير المؤمنين ، أنت صائم ، وأنت في الشمس قائم ! فقال لي : ويحك يا أحمد ، ما تقول ؟ فأقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه أقول به ، فرجع وجلس ، وقال للجلاد : تقدم وأوجع ، قطع الله يدك ! ثم قام الثانية ، فجعل يقول : ويحك يا أحمد ، أجنبي ،

فجعلوا يقبلون علي ويقولون : يا أحمد ، إمامك على رأسك قائم ! وجعل عبد الرحمن يقول : من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع ؟ وجعل المعتصم يقول : ويحك ، أجبنني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك يدي ، ققلت : يا أمير المؤمنين ، أعطوني شيئاً من كتاب الله ، فيرجع ، وقال للجلادين : تقدموا ، فجعل الجلاد يتقدم ويضربني سوطين وينتحي ، وهو في خلال ذلك يقول : شد ، قطع الله يدك ! قال أني : فذهب عقلي ، فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عني ، فقال لي رجل ممن حضر : إنا كبتناك على وجهك ، وطرحنا على ظهرك باريةً ودُسْنَاكَ ! قال أبي : فما شعرت بذلك ، وأتوني بسويق فقالوا لي : اشرب وتقيأ ، ققلت : لا أفطر ، ثم جيء لي إلى دار إسحق بن إبراهيم ، فحضرت صلاة الظهر ، فتقدم ابن سماعة فصلى ، فلما انقفل من الصلاة قال لي : صليتَ والدم يسيل في ثوبك ؟ ققلت : قد صلى عمر وجرحه يتعَبُ دماً .

قال صالح : ثم خُلي عنه فصار إلى منزله ، وكان مكثه في السجن ، منذ أخذ وحل إلى أن ضرب وخُلي عنه ، ثمانيةً وعشرين شهراً . ولقد أخبرني أحد الرجلين اللذين كانا معه ، قال : يا ابن أخي ، رحمة الله على أبي عبد الله ، والله ما رأيت أحداً يشبهه ، ولقد جعلت أقول له في وقت ما يُوجَّه إلينا بالطعام : يا أبا عبد الله ، أنت صائم ، وأنت في موضع تَقِيَّةٍ ^(١) ، ولقد عطش فقال اصحاب الشراب : ناولني ،

(١) التقيّة : هي المداورة ، والكتمان ، والتظاهر بما ليس هو الحقيقة ، والحذر ، ومعناها أن يحافظ المرء على عرضه وما له مخافة عدوه فيظهر غير ما يضمّر وهو النظام السري عند الشيعة ، ولكن سيد الشهداء حمزة ورجل قسام إلى امام جابر فأمّره ونهّاه فقتله كما جاء في الحديث الشريف . والجهاد في سبيل الله أساس من أسس الإسلام جهاد العدو الكافر ، وجهاد الحاكم الفاسق .

فناولہ قدحاً فیہ ماء وثلیج ، فأخذہ ونظر إلیہ ہنیئۃ ، ثم ردّہ ولم یشرب ! فجعلت
 أعجب من صبرہ علی الجوع والعطش ، وهو فیما هو فیہ من الهول !
 قال صالح : كنت ألتبس وأحتال أن أوصل إلیہ طعاماً أو رغیفاً فی تلك الأيام ،
 فلم أقدر . وأخبرنی رجل حضرہ : أنه تفقده فی هذه الأيام الثلاثة وهم یناظرونہ ،
 فالحزن فی کلمة ، قال : وما ظننت أن أحداً یکون فی مثل شجاعته وشدة قلبہ .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله یقول : ذهب عقلي مراراً ، فكان إذا رُفِع عني
 الضربُ رجعتُ إلیّ نفسی ، وإن استرخیتُ وسقطتُ رُفِع الضرب ، أصابني ذلك
 مراراً ، ورأیتہ ، یعنی المعتصم ، قاعداً فی الشمس بغير مظلة ، فسمعتہ وقد أقفتُ یقول
 لابن أبي دؤاد : لقد ارتکبتُ فی أمر هذا الرجل ، فقال : یا أمیر المؤمنین ، إنه والله
 کافر مشرک ، قد أشرک من غیر وجه ! فلا يزال به حتی یصرفہ عما یرید ، فقد
 کان أراد تخلیتني بغير ضرب فلم یدعہ ولا إسحق بن إبرهیم ، وعزم حینئذ علی ضربی .
 قال حنبل : وبلغنی أن المعتصم قال لابن أبي دؤاد بعد ما ضُرب أبو عبد الله :
 کم ضُرب ؟ فقال ابن أبي دؤاد : نیفاً وثلاثین ، أو أربعةً وثلاثین سوطاً .

وقال أبو عبد الله : قال لی إنسان ممن کان ثمّ : ألقینا علی صدرك باریة
 وأکبیناک علی وجهک ودُسْناک .

قال أبو الفضل عُبید الله الزهري : قال المرؤذي : قلت وأحمد بین

= وتاریخ الاسلام خافل بمواقف العطاء فی وجهه الطفیان کلمما
 ظهر حاکم مستبد وانتحل قوانین وضعیة یحکم بها .
 وقد شخص الدكتور أحمد امین فی یوم الاسلام - وهو خاتمة
 موسوعته : فجر الاسلام ، وضحاه ، وظهره - أسباب تاخر المسلمین
 إلی الحکام والعلماء .

الْهُنْبَارِيُّنَ : يَا أَسْتَاز ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) قَالَ : يَا مَرْوُذِي ، اخْرَجْ انْظُرْ ، فَخَرَجْتُ إِلَى رَحْبَةِ دَارِ الْخَلِيفَةِ ، فَرَأَيْتُ خَلْقًا لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَالصَّحَفُ فِي أَيْهَدِيهِمُ وَالْأَقْلَامُ وَالْحَابِرُ ، فَقَالَ لَهُمُ الْمَرْوُذِيُّ : أَيُّ شَيْءٍ تَعْمَلُونَ ؟ قَالُوا : نَنْتَظِرُ مَا يَقُولُ أَحْمَدُ فَنَكْتُبُهُ ، فَدَخَلَ إِلَى أَحْمَدَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ يَا مَرْوُذِي ، أَضِلْ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ ؟ !

قلت : هذه حكاية منقطعة لا تصح .

قال ابنُ أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي قال : لما حُمِلَ أَحْمَدُ لِيُضْرَبَ ، جَاؤُوا إِلَى بَشْرِ بْنِ الْحَرِثِ ، فَقَالُوا : قَدْ حُمِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَحَلَّتِ السَّيَاطُ ، وَقَدْ وَجِبَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ : تَرِيدُونَ مِنِّي مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ ؟ ! لَيْسَ ذَا عِنْدِي ! حَفِظَ اللَّهُ أَحْمَدَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ !!

وقال الحسن بن محمد بن عثمان الفسوي : حدثني داود بن عرفة حدثنا ميمون بن الأصبع قال : كنت ببغداد ، فسمعت ضجعةً ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : أَحْمَدُ يُتَحَنَّنُ ، فَأَخَذْتُ مَالًا لَهُ خَطَرٌ ، فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى مَنْ يَدْخُلُنِي إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَأَدْخَلُونِي ، وَإِذَا بِالسُّيُوفِ قَدْ جُرِّدَتْ ، وَبِالرَّمَاكِ قَدْ رُكِّزَتْ ، وَبِالْثَّرَاسِ (١) قَدْ صُنِفَتْ ، وَبِالسَّيَاطِ قَدْ طُرِحَتْ ، فَأَلْبَسُونِي قَبَاءً أَسْوَدَ وَمِنْطَقَةً وَسِيفًا ، وَوَقَفُونِي حَيْثُ أَسْمَعُ الْكَلَامَ ، فَأَتَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَجَلَسَ عَلَيَّ كُرْسِيً ، وَأَتَى بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ،

= وهذه التفتية مأخوذة من الآية القرآنية (أَلَا إِنَّ تَتَقَاتُوا مِنْهُمْ تَفْتَاةً) فِي ظِلْمَاتِ الْحَوَادِثِ وَلَكِنْ مِنْ أَصِيبَ بِخَنُونِ التَّأْوِيلِ أَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةِ وَتَطَامِنُ وَعَجَزَ وَكَسَلَ فَلَمَّا ذَا أَذِنَ شَرَعَ اللَّهُ الْجِهَادَ وَلَمْ ؟ وَأَيْنَ كِرَامَةُ الشُّهَدَاءِ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ ؟ .
والرسول صلى الله عليه وسلم تعرض لمختلف أنواع الايذاء والبلاء في سبيل الدعوة ، وكذلك الصحابة رضی الله عنهم .

فقال له : وقرابتي من رسول الله لأضربنك بالسياط ، أو تقول كما أقول ، ثم التفت إلى جلّاد ، فقال : خذه إليك ، فأخذه ، فلما ضرب سوطاً قال : بسم الله ، فلما ضرب الثاني قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فلما ضرب الرابع قال : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، فضربه تسعة وعشرين سوطاً ، وكانت تسعة أحمد حاشية ثوب ، فانقطعت فنزل السراويل إلى عانته ، فقلت : الساعة ينبتك ، فرمى بطرفه إلى السماء وحرك شفتيه ، فما كان بأسرع من أن بقي السراويل لم ينزل ، فدخلت عليه بعد سبعة أيام . فقلت : يا أبا عبد الله ، رأيته وقد انحل سراويلك فرفعت رأسك أو طرفك نحو السماء ، فما قلت ؟ قال : قلت : اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أنني على الصواب فلا تهتك لي سترًا .

وقال جعفر بن أحمد بن فارس الأصهباني : حدثنا أحمد بن أبي عبيد الله . قال : قال أحمد بن الفرّج : حضرت أحمد بن حنبل لما ضرب ، فتقدم أبو الذن ، فضربه بضعة عشر سوطاً ، فأقبل الدم من أكتافه ، وكان عليه سراويل ، فانقطع خيطه فنزل السراويل ، فلحظته وقد حرك شفتيه ، فعاد السراويل كما كان ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : قلت إلهي وسيدي ، وقفتني هذا الموقف ، فتهتكني على رؤوس الخلائق .

هذه حكاية لا تصح ، ولقد ساق فيها أبو نعيم الحافظ من الخرافات والكذب ما يستحي من ذكره .

وأضعف منها ما رواه أبو نعيم في الحلية : حدثنا الحسين بن محمد حدثنا إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القاضي حدثني أبو عبد الله الجوهري حدثني يوسف بن يعقوب سمعت علي بن محمد القرشي قال : لما قُدِّم أحمد ليضرب وجرد وبق في سراويله ،

فبينما هو يضرب انحل سراويله ، فجعل يحرك شفتيه بشيء ، فرأيت يدين خرجتا من تحته وهو يضرب ، فشدت السراويل ، فلما فرغوا من الضرب قلنا له : ما كنت تقول ؟ قال : قلت : يا من لا يعلم العرش منه أين هو إلا هو ، إن كنت على حق فلا تُبد عورتني .

قلت : هذه مكذوبة ذكرتها للمعرفة ، ذكرها البيهقي وما جسر على تضعيفها ! ثم روى بعدها حكاية في الحنة عن أبي مسعود البجلي إجازة عن ابن جهم ، وهو كذوب ، عن النجار عن ابن أبي العوام الرياحي ، فيها من الرككة والخطب ما لا يروج إلا على الجبال ، وفيها أن مئزره اضطرب فحرك شفتيه ، فلما استتم الدعاء حتى رأيت كفاً من ذهب قد خرجت من تحت مئزره بقدرة الله ! فصاحت العامة . وقال محمد بن أبي سمينة : سمعت شاباً يص التائب يقول : لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً ، لو ضربته فيلاً لهدته .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي قال : قال إبراهيم بن الحرث العبّادي^(١) : قال أبو محمد الطُّفَاوي لأحمد : يا أبا عبد الله ، أخبرني عما صنعوا بك ؟ قال : لما ضربت جاء ذاك الطويل اللحية ، يعني عجيفاً ، فضربني بقاء سيفه ، فقلت : جاء الفرج ، يضرب عنقي وأستريح ، فقال ابن سماعة : يا أمير المؤمنين ، اضرب عنقه ودمه في رقبتي ، قال ابن أبي دُوَاد : لا يا أمير المؤمنين ، لا تفعل ، فإنه إن قتل أو مات في دارك قال الناس : صبر حتى قُتل ، فاتخذوه إماماً ، وثبتوا على ما هم عليه ، ولكن أطلقه الساعة ، فإن مات خارجاً عن منزلك شك الناس في أمره .

قال ابن أبي حاتم : وسمعت أبا زُرْعَة يقول : دعا المعتصم بعم أحمد بن حنبل ،

(١) في ابن الجوزي ٣٣٩ : « من ولد عبادة بن الصامت » . وإبراهيم هذا من كبار أصحاب الإمام أحمد ، قال الخلال : « كان أبو عبد الله — يعني أحمد — يعظم قدره ويرفعه » . وهو من شيوخ أبي داود وأبي بكر الأثرم . له ترجمة في التهذيب ١ : ١١٣ .

ثم قال للناس : تعرفونه ؟ قالوا : نعم ، وهو أحمد بن حنبل ، قال : فانظروا إليه ،
أليس هو صحيح البدن ؟ قالوا : نعم . ولولا أنه فعل ذلك لكنت أخاف أن يقع
شيء لا يقام له ، قال : فلما قال قد سلمته إليكم صحيح البدن ، هدا الناس وسكنوا .

قال صالح : صار أبي إلى المنزل ، ووجهه إليه من السحر من يبصر الصرب
والجراحات ويعالج منها ، فنظر إليه ، فقال لنا : والله لقد رأيت من ضرب ألف
سوط مارأيت ضرباً أشد من هذا ، لقد جُرَّ عليه من خلفه ومن قدّامه ، ثم أدخل
ميراً في بعض تلك الجراحات ، وقال : لم يَنْقَبْ ، فجعل يأتيه ويعالجه ، وكان قد
أصاب وجهه غيرُ ضربة ، ثم مكث يعالجه إلى ما شاء الله ، ثم قال : إن ههنا شيئاً
أريد أن أقطعه ، فجاء بجديدة فجعل يُصلِّق اللحمَ بها ويُقطعه بسكين ، وهو صابر
يحمد الله ، فبرأ ، ولم يزل يتوجع من مواضع منه ، وكان أثر الضرب بيناً في ظهره
إلى أن توفي .

وسمعت أبي يقول : والله لقد أعطيتُ الجهودَ من نفسي ، ووددتُ أني أنجو
من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي .

ودخلت على أبي يوماً ، فقلت له : بلغني أن رجلاً جاء إلى فضل الأنماطي
فقال له : اجعلني في حلٍّ إذ لم أتم بنصرتك ، فقال فضل : لاجعلتُ أحداً في
حلٍّ ، فتبسم أبي وسكت ، فلما كان بعد أيام قال : مررت بهذه الآية (فمن عفاً
وأصلح فأجره على الله) فنظرت في تفسيرها فإذا هو ما حدثني أبو النضر حدثنا
ابن فضالة المبارك حدثني من سمع الحسن يقول : إذا جثت الامم بين يدي رب
العالمين نودوا : ليقيم من أجره على الله ، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا ، قال أبي :
فجعلت الميتَ في حل من ضربه إياي ، ثم جعل يقول : وما على رجل ألا يعذب
الله بسببه أحداً !

وقال حنبل بن إسحق لما أمر المعتصم بتخليفة أبي عبد الله خلع عليه مُبَطَّنةً

وقيصاً وطيلساناً وخفّاً وقلنسوة ، فبينما نحن على باب الدار والناس في الميدان والدروب وغيرها وأغلقت الأسواق ، إذ خرج أبو عبدالله على دابة من دار أبي إسحق المعتصم ، وعليه تلك الثياب ، وابن أبي دؤاد عن يمينه ، وإسحق بن إبراهيم ، يعني نائب بغداد ، عن يساره ، فلما صار في دهليز المعتصم قبل أن يخرج قال لهم ابن أبي دؤاد : اكشفوا رأسه ، فكشفوه ، يعني من الطيلسان فقط ، وذهبوا يأخذون به ناحية الميدان نحو طريق الحبس ، فقال ضم إسحق : خذوا به ههنا ، يريد دجلة ، فذهب به إلى الزورق ، ونحمل إلى دار إسحق فأقام عنده إلى أن صليت الظهر ، وبعث إلى أبي وإلى جيراننا ومشايخ الحال ، فجمعوا وأدخلوا عليه ، فقال لهم : هذا أحمد بن حنبل إن كان فيكم من يعرفه ، وإلا فليعرفه ، فقال ابن سماعة حين دخل للجماعة : هذا أحمد بن حنبل ، فإن أمير المؤمنين ناظر في أمره ، وقد خلى سبيله ، وها هو ذا ، فأخرج على دابة لإسحق بن إبراهيم عند غروب الشمس ، فصار إلى منزله ومعه السلطان والناس ، وهو منجني ، فلما ذهب لينزل احتضنته ولم أعلم ، فوقعت يدي على وضض الضرب ، فصاح ، فنجيت يدي ، فنزل متوكئاً علي ، وأغلق الباب ، ودخلنا معه ، ورمى بنفسه على وجهه ، لا يقدر يتحرك إلا بجهد ، وخلع ما كان خيلع عليه فأمر به فبيع ، وأخذ ثمنه فتصدق به .

وكان المعتصم أمر إسحق بن إبراهيم أن لا يقطع عنه خبره ، وذلك أنه نزل فيما حكى لنا عند الإياس منه . وبلغنا أن المعتصم ندم وأسقط في يده حتى صلح ، فكان صاحب الخبر إسحق يأتينا كل يوم يرف خبره ، حتى صح ، وبقيت إبهاماه متخلعتين ، تضربان عليه في البرد ، حتى يُسخن له الماء ، ولما أردنا علاجه خفنا أن يدس ابن أبي دؤاد سماً إلى المعالج ، فسلمنا الدواء والمرهم في منزلنا .

وسمعت يقول كل من ذكرني في حل إلا مبتدع ، وقد جعلت أبا إسحق ، يعني المعتصم ، في حل ، ورأيت الله تعالى يقول : (وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون

أن يغفر الله لكم) ، وأمر النبي صلى الله عليه وآله بكر العفو في قصة مسطح ، قال
عبد الله : العفو أفضل ، وما ينفعك أن يعذب أخوك المسلم في سببك !

فصل في محتته من الواثق

قال حنبل : ولم يزل أبو عبد الله بعد أن برى من مرضه يحضر الجمعة والجماعة ،
ويأتي ويحدث ، حتى مات المعتصم وولي ابنه الواثق ، فأظهرا أظهر من المحنة والميل إلى
ابن أبي دؤاد وأصحابه ، فلما اشتد الأمر على أهل بغداد ، وأظهر القضاة المحنة ، وفرق
بين فضل الأنماطي وامراته وبين أبي صالح وامراته ، كان أبو عبد الله يشهد الجمعة ويعيد
الصلاة إذا رجع ، ويقول : الجمعة تؤتى لفضلها ، والصلاة تعاد خلف من قال بهذه
الأملة ، وجاء نفر إلى أبي عبد الله وقالوا : هذا الأمر قد فشا وتفاقم ، ونحن نخافه على
أكثر من هذا ، وذكروا أن ابن أبي دؤاد على أن يأمر المعلمين بتعليم الصبيان
في الكتاب مع القرآن : القرآن كذا وكذا ، فنحن لا نرضى بإمارته ، فمنعهم
من ذلك وناظرهم .

وحكى حنبل قصده في مناظرتهم وأمرهم بالصبر ، فبينما نحن في أيام الواثق إذ
جاء يعقوب ليلاً برسالة إسحق بن إبراهيم إلى أبي عبد الله : يقول لك الأمير ، إن أمير
المؤمنين قد ذكرك ، فلا يجتمع إليك أحد ، ولا تسأكني بأرض ولا مدينه أنا
فيها ، فاذهب حيث شئت من أرض الله . فاخفى أبو عبد الله بقية حياة الواثق ،
وكانت تلك الفتنة وقتل أحمد بن نصر .

فلم يزل أبو عبد الله محتفياً في غير منزله في القرب ، ثم عاد إلى منزله بعد أشهر
وسنة لما طفي خبره ، ولم يزل في البيت محتفياً لا يخرج إلى الصلاة ولا غيرها حتى
ملك الواثق .

وعن إبراهيم بن هاني قال : اختفى أحمد بن حنبل عندي ثلاثة أيام ، ثم قال : اطلب لي موضعاً ، قلت : لا آمنُ عليك ، قال : افعلْ ، فإذا فعلتَ أفدتكُ ، فطلبت له موضعاً ، فلما خرج قال لي : اختفى رسول الله صلى الله عليه في الغار ثلاثة أيام ثم تحول^(١) .

قلتُ : أنا أتعجب من الحافظ أبي القاسم^(٢) ، كيف لم يسق المحنة ولا شيئاً منها في تاريخ دمشق ، مع فرط استقصائه ، ومع صحة أسانيدها !! ولعل له نية في تركها^(٣) .

(١) زاد ابن الجوزي ٣٥٠ بقية كلام الإمام أحمد : « وليس ينبغي أن تتبع سنة رسول الله في الرخاء وترك في الشدة » . وهي حكمة بالغة من الإمام ، ليت الناس فهموها وعملوا بها .

(٢) يريد الحافظ ابن عساكر ، مؤلف تاريخ دمشق .

(٣) ساق ابن الجوزي ٣٥٠ - ٣٥٢ وابن كثير ١٠ : ٣٢١ سبب ترك الوثائق للمحنة ، المعنى واحد واللفظ لابن كثير ، قال : « وذكر عن محمد المهدي بن الوائق : أن شيخاً دخل يوماً على الوائق ، فسلم فلم يردّ عليه الوائق ، بل قال : لاسلم الله عليك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، بش ما أدبك معلمك ، قال الله تعالى : (وإذا حُيِّتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِهَا أَوْ رَدُّوْهَا) فلا حيتني بأحسن منها ولا رددتها ! فقال ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين ، الرجل متكلم ، فقال : ناظره ، فقال ابن أبي دؤاد : ما تقول يا شيخ في القرآن ؟ أمخلوق هو ؟ فقال الشيخ : لم تصفني ، المسألة لي ، فقال : قل ، فقال : هذا الذي تقوله ، علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو ما علموه ؟ فقال ابن أبي دؤاد : لم يعلموه ! قال : فأنت علمت ما لم يعلموا ! فخنجل وسكت ، ثم قال : ألقني ، بل علموه ، قال : فلم لادعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت ؟ أما يسعك ما وسعهم ؟ ! فخنجل وسكت ، وأمر الوائق له بمجازة نحو أربعمائة دينار ، فلم يقبلها ، قال المهدي : فدخل أبي المنزل فاستلقى على ظهره ، وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ، ويقول : أما وسعك ما وسعهم ؟ ! ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربعمائة دينار ورده إلى بلاده ، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد ، ولم يمتحن بعده أحداً » .

فصل

في حال أبي عبد الله أيام المتوكل

قال حنبل : ولي جعفر المتوكل ، فأظهر الله السنة ، وفرّج عن الناس ، وكان أبو عبد الله يحدثنا ويحدث أصحابه في أيام المتوكل ، وسمعتة يقول : ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم في زماننا .

ثم إن المتوكل ذكره وكتب إلى إسحق بن إبراهيم في إخراجة إليه ، فجاء رسول إسحق إلى أبي عبد الله يأمره بالحضور ، فضى أبو عبد الله ثم رجع ، فسأله أبي عما دُعي له ؟ فقال : قرأ علي كتاب جعفر يأمرني بالخروج إلى العسكر ، قال : وقال لي إسحق بن إبراهيم : ما تقول في القرآن ؟ فقلت : إن أمير المؤمنين قد نهى عن هذا ! فقال : لا نُعلم أحداً أني سألتك ! فقلت له : مسألة مسترشِد أو مسألة متعنّت ؟ قال : بل مسألة مُسترشِد ، فقلت له : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، وقد نهى أمير المؤمنين عن هذا .

وخرج إسحق إلى العسكر ، وقدم ابنه محمد خليفة له ببغداد ، ولم يكن عند أبي عبد الله ما يتجمل به وينفقّه ، وكانت عندي مائة درهم ، فأتيتُ بها إلى أبي فذهب بها إليه ، فأخذها وأصلح بها ما احتاج إليه واكثرى منها ، وخرج ، ولم يلقَ محمد بن إسحق بن إبراهيم ولا سلم عليه ، فكتب بذلك محمد إلى أبيه ، فحقداه إسحق عليه ، فقال للمتوكل : يا أمير المؤمنين ، إن أحمد بن حنبل خرج من بغداد ولم يأت محمداً مولاك ، فقال المتوكل يردّ ولو وطئ بساطي ، وكان عبد الله قد بلغ بُصرى^(١) ، فوجه إليه رسولا يأمره بالرجوع ، فرجع ، وامتنع من الحديث إلا لولده ولنا ، وربما قرأ علينا في منزلنا .

(١) بصرى الشهورة : بالشام ، وهذه بصرى أخرى ، من قرى بغداد قرب عكبراء . انظر معجم البلدان .

ثم إن رافعاً رفع إلى المتوكل : إن أحد بن حنبل رُبِّصَ علويًا في منى ، وإنه يريد أن يُخرجه ويبيع عليه ، ولم يكن عندنا علم ، فبينما نحن ذات ليلة نيام في الصيف ، سمعنا الجلبة ، ورأينا النيران في دار أبي عبد الله ، فأسرعنا ، وإذا أبو عبد الله قاعد في إزار ، ومظفرُ بن الكلبي صاحبُ الخبر وجماعة معهم ، قرأ صاحب الخبر كتاب المتوكل : وَرَدَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ عِنْدَكَ عَلَوِيًّا رُبِّصْتَهُ تَتَّبِعُ لَهُ وَتُظْهِرُهُ ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ مَظْفَرُ : مَا تَقُولُ ! قَالَ : مَا أَعْرِفُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ، وَإِنِّي لَأَرَى لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي غُسْرِي وَيُسْرِي ، وَمَنْشَطِي ، وَمَكْرَهِي وَأَثَرَةَ عَلِيٍّ ^(١) ، وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ لَهُ بِالتَّسْدِيدِ وَالتَّوْفِيقِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ غَيْرِ هَذَا ، فَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : قَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَحْلِفَكَ ! قَالَ : فَأَحْلَفُهُ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا : أَنْ مَا عِنْدَهُ طَلَبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : وَفَتَشَوْا مَنْزِلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَالسَّرْبَ ، وَالْعُرْفَ ، وَالسُّطُوحَ ، وَفَتَشَوْا تَابُوتَ الْكُتُبِ ، وَفَتَشَوْا النِّسَاءَ وَالْمَنَازِلَ ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا ، وَلَمْ يَحْسَوْا بِشَيْءٍ ، وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَوَقَعَ مِنْهُ مَوْقَعًا حَسَنًا ، وَعَلِمَ أَنَّ أَبَاعِدَ اللَّهِ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ ، وَكَانَ الَّذِي دَسَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ . وَلَمْ يَمُتْ حَتَّى بَيَّنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ ابْنُ الثَّلْجِيِّ ^(٢) .

(١) لشارة إلى حديث عبادة بن الصامت ، أخرجه مسلم ٨٦/٢ :
 بايعنا رسول الله على السمع والطاعة ... الخ .

(٢) محمد بن شجاع : هو الامام أبو عبدالله محمد بن شجاع الثلجي البغدادي ، وهو قضاعي ، ومن يقول عنه (ابن الثلجي) يريد انتقاصه بأن أباه كان بائع ثلج . وغاية ما يعاب عليه به أنه لم يكن يعامل العامة وحشوية زمنه بالسياسة مترفعا عن الداهنة مفضلا الصراحة في كل شيء ، فطالت السنة كثير من مخالفته بأنه كان يمالئ المعتزلة ، ويخالف السلف ، ولم يكن له أي مخالفة للسلف الصالح وإنما كانت مخالفته لمن لا يميز بين السنة والبدعة .

من شيوخه : الواقدي ، وغيره من أئمة الفقه والحديث ، وتفقه عليه : الحافظ الدولابي (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) وأحمد بن أبي عمران شيخ الطحاوي .

وحيث أن محمد بن شجاع كان مكثرا للغاية من الحديث فيحتاج استيفاء ذكر شيوخه الى تأليف خاص ، وكذلك ذكر أصحابه وتلاميذه لما نشر الله سبحانه له في بلاد كثيرة شرقا وغربا من علومه ومؤلفاته بواسطة هؤلاء التلاميذ والأصحاب الذين انتشروا في الآفاق . وذلك لبالغ إخلاصه في خدمة الفقه والحديث .

قال عنه الذهبي في سير النبلاء : أحد الأعلام ، كان من بحور العلم ، وكان صاحب تعبّد وتهجد وتلاوة ، وله كتاب المناسك في نيف وستين جزءا .

٤٤ ت

وقال ابن النديم في الفهرست : هو مبرز على نظرائه من أهل زمانه ، وكان فقيها ورعا ثبّقا عالي المنزلة في الاجتهاد .

وقد نقل ابن الجوزي عن ابن عدي أباة كان يضع الحديث في التشبيه وينسبها الى أهل الحديث ، ولكن البدر العيني قال : من جملة تصانيفه : الرد على المشبهة . فكيف يصح عنه ذلك .

وقال الحاكم في معرفة علوم الحديث : هو كثير التصنيف ، كثير الحديث فانخداع بعض من ألف في الرجال بما سطره أهل العنوان من الحشوية مما يؤسف له وذلك من جهلهم بالفخائل في كلمات هؤلاء النقلة وعدم دراستهم للكتب الرجال .

ولابن عدي انحراف عجيب عن أبي حنيفة وأصحابه ، فلا تجد في كتابه الكامل كلمة واحدة في الثناء على واحد منهم بل كلامه كله تجريح وتشنيع فيهم .

توفي محمد بن شجاع سنة ٢٥٧ هـ ، وقيل ٢٦٠ .

وأشار فؤاد سزكين في ٩/٢ الى أنه كان ورعا مرموق المكانة ومن آثاره : المناسك ، تصحيح الآثار ، المضاربة ، كتاب الرد على المشبهة .

فلما كان بعد أيام بينا نحن جلوس بباب الدار إذا يعقوبُ أحدُ حجابِ المتوكل قد جاء ، فاستأذن على أبي عبد الله ، فدخل ودخل أبي وأنا ومع بعض غلمانهِ بذرّةً على بغلٍ ، ومعه كتاب المتوكل ، فقرأه على أبي عبد الله : إنه ضح عند أمير المؤمنين براءةً ساحتك ، وقد وَجَّهَ إليك بهذا المال تستعين به ، فأبى أن يقبله ، فقال : مالي إليه حاجة . فقال : يا أبا عبد الله ، اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به ، فإن هذا خير لك عنده ، فاقبل ولا تردّه ، فإنك إن رددته خفتُ أن يظنَّ بك سوءاً ، فحينئذ قبلها ، فلما خرج قال : يا أبا علي ، قلت : لييك ، قال : ارفع هذه الإنجاةَ وضعها ، يعني البدره ، تحتها ، فوضعها وخرجنا ، فلما كان من الليل إذا أمُّ ولدِ أبي عبد الله تدقّ علينا الحائط ، فقلت لها : مالك ؟ قالت : مولاي يدعو عمه ، فاعلمتُ أبي ، وخرجنا فدخلنا على أبي عبد الله ، وذلك في جوف الليل ، فقال : يا عَمُّ ، ما أخذني النومُ هذه الليلة ، فقال له أبي : ولم ؟ قال : لهذا المال ، وجعل يتوجع لأخذه ، وجعل أبي يُسَكِّتُهُ ويسهِّلُ عليه ، فقال : حتى تصبح وترى فيه رأيك ، فإن هذا ليل ، والناس في منازلهم ، فأمسك وخرجنا ، فلما كان في السحر وجَّهَ إلى عبدوس بن مالك والحسن بن البزار فحضرا ، وحضر جماعة ، منهم هرون الحمالي ، وأحمد بن منيع ، وابنُ الدَّوْرَقِي ، وأنا ، وأبي ، وصالح ، وعبد الله ، فجعلنا نكتب من يذكرونه من أهل السَّتر والصَّلاح ببغداد والكوفة ، فوجَّهَ منها إلى أبي سعيد الأشجّ ، وإلى أبي كُرَيْب ، وإلى من ذكر من أهل العلم والسنة ، ممن يعلمون أنه محتاج ، ففرقها كلّها ، ما بين الخمسين إلى المائة والمائتين ، فما بقي في الكيس درهم ، ثم تصدق بالكيس على مسكين .

فلما كان بعد ذلك مات إسحق بن إبراهيم وابنه محمد ، ووليَّ بغداد عبدُ الله بن إسحق ، فجاء رسوله إلي أبي عبد الله ، فذهب إليه ، فقرأ عليه كتاب المتوكل ، فقال له : يأمرك بالخروج ، فقال : أنا شيخ ضعيف عليل ، فكُتِبَ عبد الله بما ردَّ عليه ، فورد جوابُ الكتاب بأن أمير المؤمنين يأمره بالخروج ، فوجَّهَ عبد الله

جنوده فباتوا على بابنا أياماً ، حتى تهيأ أبو عبد الله للخروج ، فخرج وخرج -
وعبد الله وأبي ، زُمَيْلَةً .

قال صالح : كان سَخل أبي إلى المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ثم عاش
إلى سنة إحدى وأربعين ، فكان قلَّ يومٌ يمضي إلا ورسول المتوكل يأتيه .

قال حنبل في حديثه : وقال أبي : ارجع ، فرجعت ، فأخبرني أبي قال : لما
دخلنا إلى المسكر إذا نحن بموكب عظيم مقبل ، فلما حاذى بنا قالوا : هذا وصيف ،
وإذا فارس قد أقبل ، فقال لأحمد : الأميرُ وصيف يقرئك السلام ويقول لك : إن الله
قد أمكنك من عدوك ، يعني ابن أبي دؤاد ، وأمير المؤمنين يقبلُ منك ، فلا تدعُ شيئاً
إلا تكلمت به ، فمأردَّ عليه أبو عبد الله شيئاً ، وجعلت أنا أدعولاً أمير المؤمنين ، ودعوتُ
لوصيف ، ومضينا ، فأنزلنا في دار التياح ولم يعلم أبو عبد الله ، فسأل بعد ذلك :
لمن هذه الدار ؟ قالوا : هذه دار التياح ، فقال : حوّلوني ، اكتروا لي داراً ، قالوا :
هذه دار أنزلكها أميرُ المؤمنين ، قال : لا أيت ههنا ، قال أبي : فلم نزل حتى
اكثرنا له داراً ، وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان يأمر بها المتوكلُ
والفاكهة والتلج وغير ذلك ، فما نظر إليها أبو عبد الله ، ولا ذاق منها شيئاً ، وكانت
نفقة المائدة كل يوم مائة وعشرين درهماً ، وكان يحيى بن خاقان وابنه عبيد الله
وعلي بن الجهم يأتون أبا عبد الله ، ويختلفون إليه برسالة المتوكل ، ودامت العلة
بأبي عبد الله ، وضعف ضعفاً شديداً ، وكان يواصل ، فمكث ثمانية أيام لا يأكل
ولا يشرب ، فلما كان في اليوم الثامن دخلت عليه ، وقد كاد أن يطفأ ، فقلت :
يا أبا عبد الله ، ابنُ الزبير كان يواصل سبعة أيام ، وهذا لك اليوم ثمانية أيام ، قال :
إني مطيق ، قلت : بحقي عليك ؟ قال : فإني أفعل ، فأتيتهُ بسويق فشرب ، ووجه
إليه المتوكل بمال عظيم فردّه ، فقال له عبيد الله بن يحيى : فإن أمير المؤمنين يأمرُك
أن تدفعها إلى ولدك وأهلك ، قال : هم مستغنون ، فردها عليه ، فأخذها عبيد الله

فقسما على ولده وأهله ، ثم أجرى المتوكل على أهله وولده أربعة آلاف في كل شهر ، فبعث إليه أبو عبد الله : إنهم في كفاية ، وليست بهم حاجة ، فبعث إليه المتوكل : إنما هذا لولدك ، مالك ولهذا ؟ فأمسك أبو عبد الله ، فلم يزل يجري علينا حتى مات المتوكل .

وجرى بين أبي عبد الله وبين أبي في ذلك كلام كثير ، وقال : يا عم ، ما بقي من أعمارنا ؟ كأنك بالأمر قد نزل بنا ، فإله الله ، فإن أولادنا إنما يريدون يتأكلون بنا ، وإنما هي أيام قلائل ، لو كشف للعبد عما قد حجب عنه لعرف ما هو عليه من خير أو شر ، صبر قليل ، وثواب طويل ، إنما هذه فتنة ، قال أبي : فقلت : أرجو أن يؤمنك الله مما تحذر ، قال : فكيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم ؟ لو تركتموها لتركوكم ، وقال : ماذا ننتظر ؟ إنما هو للوت ، فإما إلى الجنة ، وإما إلى نار ، فطوبى لمن قدم على خير ، قال أبي : فقلت له : أليس قد أمرت ما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس أن تأخذه ؟ قال : قد أخذت مرة بلا إشراف نفس ، فالثانية والثالثة ! فما بال نفسك ألم تستشرف ؟ فقلت : ألم يأخذ ابن عمر وابن عباس ؟ فقال : ما هذا وذاك !! وقال : لو أعلم أن هذا المال يؤخذ من وجهه ولا يكون فيه ظلم ولا حيف لم أبأه .

قال حنبل : فلما طالت علة أبي عبد الله كان المتوكل يبعث بابن ماسويه المتطبيب ، فيصف له الأدوية ، فلا يتعالج ، ويدخل المتطبيب على المتوكل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أحمد ليست به علة في بدنه ، إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة ، فسكت المتوكل .

وبلغ أم المتوكل خبر أبي عبد الله ، فقالت لابنها : أشتحي أن أرى هذا الرجل ، فوجه المتوكل إلى أبي عبد الله يسأله أن يدخل على ابنه المعتز ويسلم عليه ويدعوه له ويحمله ، في حجره ، فامتنع أبو عبد الله من ذلك ، ثم أجاب رجاء أن يطلق

وينحدر إلى بغداد . فوجه إليه المتوكل خلفه ، وأتوه بدابة يركبها إلى المعتز فامتنع ، وكانت عليها مِثْرَةٌ مُنْمُورٌ ، فَقُدِّمَ إليه بغل لرجل من التجار فركبه ، وجلس المتوكل مع أمه في مجلس من المكنان ، وعلى المجلس ستر رقيق ، فدخل أبو عبد الله على المعتز ، ونظر إليه المتوكل وأمّه ، فلما رأته قالت : يا بُنَيَّ ، الله الله في هذا الرجل ، فليس هذا بمن يريد ما عندكم ، ولا المصلحة أن تحبسه عن منزله ، فأذن فليذهب . فدخل أبو عبد الله على المعتز ، فقال : السلام عليكم ، وجلس ولم يسلم عليه بالإمرة ، قال : فسمعت أبا عبد الله بعد ذلك ببغداد يقول : لما دخلت عليه وجلست قال مؤذّب الصبي : أصلح الله الأمير ، هذا الذي أمره أمير المؤمنين يؤذّبك ويعلمك ، فردّ عليه الغلام ، وقال : إن علمني شيئاً تعلمته ! قال أبو عبد الله : فمجبت من ذكائه وجوابه على صغره ، وكان صغيراً .

قال : ودامت علّة أبي عبد الله ، وبلغ الخليفة ما هوفيه ، وكلّمه يحيى بن خاقان أيضاً ، وأخبره أنه رجل لا يريد الدنيا ، فأذن له في الانصراف ، فجاء عبيد الله بن يحيى وقت العصر ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أذن لك ، وأمر أن تُفرش لك حرّاقة تنحضر فيها ، فقال : أبو عبد الله : اطلبوا لي زورقاً فأنحدر فيه الساعة ، فطلبوا له زورقاً فأنحدر فيه من ساعته .

قال حنبل : فما علمنا بقدومه ، حتى قيل لي : إنه قد وافى ، فاستقبلته بناحية القطيعة ، وقد خرج من الزورق ، فمشيت معه ، فقال لي : تقدم لا يراك الناس فيعرفوني ، فتقدمت بين يديه حتى وصل إلى المنزل ، فلما دخل أتى نفسه على قفاه من التعب والعياء .

وكان في حياته ربما استمار الشيء من منزلنا ومنزل ولده ، فلما صار إلينا من مآل السلطان ما صار ، امتنع من ذلك ، حتى لقد وُصف له في علته قرعة تُشوى ،

ويؤخذ مأوها ، فلما جاؤوا بالقرعة ، قال بعض من حضر : اجعلوها في تشور ،
يعني في دار صالح ، فإنهم قد خبزوا ، فقال بيده : لا . ومثل هذا كثير .

وقد ذكر صالح بن أحمد قصة خروج أبيه إلى العسكر ورجوعه وتفتيش بيوتهم
على العلوي ؟ ثم ورود يعقوب قرقرة ومعه العشرة الآلاف ، وأن بعضها كان مائتي
دينار ، والباقي دراهم ، قال : فحنت بإجانة خضراء فأكبتها على البذرة ، فلما كان
عند المغرب قال : يا صالح ، خذ هذا صيتره عندك ، فصيرته عند رأسي فوق البيت ،
فلما كان سحرته إذا هو ينادي : يا صالح ، قممت وصعدت إليه ، فقال : مائمت ،
قلت : لم يا أبة ؟ فجعل يبكي ، وقال : سللت من هؤلاء ، حتى إذا كان في آخر
عمرى نبليت بهم ، قد غزمت عليك أن تفرق هذا الشيء إذا أصبحت ، فقلت :
ذاك إليك ، فلما أصبح جاءه الحسن بن البرار ، فقال : جثني يا صالح بميزان ،
وجّهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار ، ثم وجهه إلى فلان حتى يفرق في ناحيته ،
وإلى فلان ، حتى فرقها كلها ، ونحن في حالة الله بها عليم ، فجاءني ابن لي فقال :
يا أبة ، أعطني درهما ، فأخرجت قطعة فأعطيته ، فكتب صاحب البريد : إنه
تصدق بالدرهم في يومه حتى تصدق بالكيس ، قال علي بن الجهم : فقلت يا أمير
المؤمنين ، قد تصدق بها وعلم الناس أنه قد قبل منك ، ما يصنع أحمد بالمال ؟ وإنما
قوته رغيّف ، قال : فقال لي : صدقت يا علي .

قال صالح : ثم أخرج أبي ليلاً ومعنا خراس معهم التفافات ، فلما أصبح
وأضاء الفجر قال لي : يا صالح ، معك دراهم ؟ قلت : نعم ، قال : أعطهم ، فلما أصبحنا
جمل يعقوب يسير معه ، فقال له : يا أبا عبد الله ، ابن الثلجي بلغني أنه كان
يذكرك ، فقال له : يا أبا يوسف ، سل الله العافية ، فقال له : يا أبا عبد الله ، تريد
أن تؤدّي عنك رسالة إلى أمير المؤمنين ؟ فسكت ، فقال : إن عبد الله بن إسحق

أخبرني أن الواصي^(١) قال له : إني أشهد عليه أنه قال : إن أحمد يعبدُ مائتي !
 فقال : يا أبا يوسف ، يكفي الله ، فغضب يعقوب والتفت إليّ فقال : ما رأيت أعجب
 مما نحن فيه ، أسأله أن يطلق لي كلمة أخبرُ أمير المؤمنين فلا يفعل !!

قال : ووجه يعقوب إلى المتوكل بما عمل ، ودخلنا العسكر ، وأبي
 منكسر الرأس ورأسه منقطي ، فقال له يعقوب : اكشف رأسك يا أبا عبد الله ،
 فكشفه ، ثم جاء وصيف يريد الدار ، ووجه إليه بعدما جاز يحيى بن هرثمة فقال :
 يُقرئك أمير المؤمنين السلام ، ويقول : الحمد لله الذي لم يشمت بك أهل البدع ،
 قد علمت ما كان من حال ابن أبي داود ، فينبغي أن تتكلم بما يجب لله ، ومضى
 يحيى ، وأنزل أبي دار إيتاخ ، فجاء علي بن الجهم وقال : قد أمر لكم أمير المؤمنين
 بعشرة آلاف مكان تلك التي فرقها ، وأمر أن لا أعلم شيخكم بذلك فيتم ، ثم جاءه
 محمد بن معاوية فقال : إن أمير المؤمنين يكثر ذكرك ، ويقول : يقيم هنا يحدث ،
 فقال : أنا ضعيف .

ثم صار إليه يحيى بن خاقان فقال : يا أبا عبد الله ، قد أمر أمير المؤمنين أن
 أصير إليك لتركب إلى ابنه أبي عبد الله ، يعني المعتز ، ثم قال لي : قد أمرني أمير
 المؤمنين يُجبرني عليك وعلى قراباتك أربعة آلاف درهم تفرقها عليهم ، ثم عاد يحيى
 من القد فقال : يا أبا عبد الله ، تركب ؟ قال : ذاك إليكم ، ولبس إزاره وخفه ، وكان
 خفه له عنده نحو من خمسة عشر عاماً ، قد رقع برقاع عدة ، فأشار يحيى أن يلبس
 قلنسوة ، قلت : ما له قلنسوة ، إلى أن قال : فدخل دار المعتز ، وكان قاعداً على
 دكان في الدار ، فلما صعد الدكان قعد ، فقال له يحيى : يا أبا عبد الله ، إن أمير المؤمنين
 جاء بك ليُسرَّ بقربك ويُصير أبا عبد الله ابنة في حجرك ، فأخبرني بعض الخدم

(١) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن صخر ، من ولد وابصة بن معبد ، كان
 يتولى قضاء بغداد ، مات سنة ٢٤٩ . له ترجمة في تاريخ بغداد ١٤ : ٥٢ - ٥٣ والتهذيب

أن المتوكل كان قاعداً وراء سِتْر ، فلما دخل أبي الدار قال لأمه : يا أُمّة ، قد نارت الدار ، ثم جاء خادم بمنديل ، فأخذ يحيى المنديل ، وذكر قصة في إلباسه القميص والطيلسان والقلنسوة ، وهو لا يحرك يده ، ثم انصرف .

وكانوا قد تحدثوا أنه يخلع عليه سواداً ، فلما صار إلى الدار نزع الثياب ، ثم جعل يبكي ، فقال : سلمتُ من هؤلاء منذ ستين سنة ، حتى إذا كان في آخر عري بُليت بهم ! ما أحسبني سلمتُ من دخولي على هذا الغلام ، فكيف بمن يجب علي نصحه من وقت تقع عيني عليه إلى أن أخرج من عنده ؟ ! يا صالح ، وجه بهذه الثياب إلى بغداد تباع ويتصدق بثمنها ، ولا يشتري أحد منكم منها شيئاً ، فوجهت بها إلى يعقوب بن بُخْتان^(١) فباعها وفرق ثمنها ، وبقيت عندي القلنسوة .

قال : ومكث خمسة عشر يوماً يفطر في كل ثلاث على ثمن سَوِيْق ، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلةً على رغيف وليلةً لا يفطر ، وكان إذا جىء بالمائدة توضع بالدهليز لثلاثاً يراها ، فيأكل من حضر ، فكان إذا أجهده الحرُّ بلَّ خرقةً فيضعها على صدره ، وفي كل يوم يوجه إليه بابت ماسوئيه ، فينظر إليه ويقول : يا أبا عبد الله ، أنا أميلُ إليك وإلى أصحابك ، وما بك علة إلا الضعف وقلة الرزق .

إلى أن قال : وجعل يعقوب وغيث يصيران إليه ، ويقولان له : يقول لك أمير المؤمنين : ما تقول في ابن أبي دؤاد وفي ماله ؟ فلا يجيب في ذلك بشيء ، وجعل يعقوب ويحيى يخبراه بما يحدث في أمر ابن أبي دؤاد في كل يوم ، ثم أحدر إلى

(١) يعقوب بن اسحق بن بختان أبو يوسف سمع من الامام أحمد وكان من أصحابه ، لا بل كان جاره وصديقه ، وروى عنه مسائل صالحة كبيرة ، لم يروها غيره في الورع .
كان أحد الصالحين الثقات ، روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا ، وجعفر الصنعلي ، وأحمد بن أبي شعبة ، وقال عنه أبو بكر بن أبي الدنيا : أبو يوسف من خيار المسلمين .

بغداد بعد ما أشهد عليه بيع ضياعه . وكان ربما صار إليه يحيى بن خاقان وهو يصلي ، فيجلس في الدهليز حتى يفرغ .

وأمر المتوكل أن يشتري لنا دار ، فقال : يا صالح ! قلت : لبيك ، قال : لن أقررت لهم بشراء دار لتكونن القطيعة بيني وبينكم ، إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لي مأوى ومسكناً ، فلم نزل ندفع شراء الدار حتى اندفع .

وجمعت رسل المتوكل تأتيه يسألونه عن خبره ، ويصيرون إليه فيقولون : هو ضعيف ، وفي خلال ذلك يقولون : يا أبا عبد الله ، لابد من أن يراك ، وجاءه يعقوب فقال : يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين مشتاق إليك ويقول : انظر يوماً تصير فيه أي يوم هو حتى أعرفه ؟ فقال : ذاك إليكم ، فقال : يوم الأربعاء يوماً خالي ، وخرج يعقوب ، فلما كان من الغد جاء فقال : البشري يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول : قد أعفيتك عن لبس السواد والركوب إلى ولاية العهد وإلى الدار ، فإن شئت فلبس القطن ، وإن شئت فلبس الصوف ، فحمل محمد الله على ذلك .

ثم قال يعقوب : إن لي ابناً وأنا به معجب ، وإن له من قلبي موقعاً ، فأحب أن تحدثه بأحاديث ، فسكت ، فلما خرج قال : أترأه لا يرى ما أنا فيه !

وكان يختم من جمعة إلى جمعة ، وإذا ختم دعا ، فيدعوا وتؤمن ، فلما كان غداة الجمعة وجه إلي وإلى أخي ، فلما ختم جعل يدعو ونحن نؤمن ، فلما فرغ جعل يقول : استخير الله ، مرات ، فجعلت أقول : ما يريد ؟ ثم قال : إني أعطي الله عهداً إن عهده كان مسؤولاً ، وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أني لا أحدث حديث تمام أبداً حتى ألقى الله ، ولا أستثني منكم أحداً ، فخرجنا وجاء علي بن الجهم فأخبرناه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأخبر المتوكل بذلك ، وقال : إنما يريدون أحدث ويكون هذا البلد حبيسي ، وإنما كان سبب الذين

أقاموا بهذا البلد لما أُعطوا فقبلوا وأمروا فحدثوا . وجعل أبي يقول : والله لقد تمتبت الموت في الأمر الذي كان ، وإني لأتمنى الموت في هذا ، وذلك أن هذا فتنة الدنيا ، وذلك كان فتنة الدين ، ثم جعل يضم أصابع يده ويقول : لو كانت نفسي في يدي لأرسلتها ، ثم يفتح أصابعه .

وكان المتوكل يوجه في كل وقت يسأله عن حاله . وكان في خلال ذلك يأمر لنا بالمال ، ويقول : يُوصل إليهم ولا يُعلم شيخُهم فيغتم ، ما يريد منهم ؟ إن كان هو لا يريد الدنيا فلم يمنهم ؟ !

وقالوا للمتوكل : إنه لا يأكل من طعامك ، ولا يجلس على فراشك ، ويحرم الذي تشرب ! فقال لهم : لو نشر المعتصم . وقال فيه شيئاً لم أقبل منه .

قال صالح : ثم انحدرت إلى بغداد ، وخلفت عبد الله عنده ، فإذا عبدُ الله قد قدّم وجاء بنبأبي التي كانت عنده ، فقلت : ما جاء بك ؟ فقال : قال لي انحدر ، وقبل لصالح : لا تخرج فأنتم كنتم آفتي ، والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أخرجت واحداً منكم معي ، لولا كم لمن كانت توضع هذه المائدة ؟ ولمن كانت تفرش هذه الفرش ، وتجري الأمراء ؟ ! فكتبت إليه أعلمه ما قال لي عبد الله ، فكتب إلي بخطه : « أحسن الله عاقبتك ، ودفع عنك كل مكروه ومحذور ، الذي حلني على الكتاب إليك الذي قلت لعبد الله لا يأتيني منكم أحد رجاء أن ينقطع ذكري ويحمد ، إذا كنتم ههنا فشا ذكري ، وكان يجتمع إليكم قوم ينقلون أخبارنا ، ولم يكن إلا خير ، فإن أقت فلم تأتني أنت ولا أخوك فهو رضائي ، ولا تجعل في نفسك إلا خيراً ، والسلام عليك ورحمة الله » .

قال : ولما خرجنا من العسكر رفعت المائدة والفرش ، وكل ما أقيم لنا ، ثم ذكر صالح كتاب وصيته .

ثم قال : وبث إليه المتوكل بألف دينار ليقسمها ، فجاء علي بن الجهم في

جوف الليل ، فأخبره بأنه يهبي له حرّاقة ينحدر فيها ، ثم جاء عبيد الله ومعه ألف دينار ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أذن لك ، وقد أمر لك بهذه ، فقال : قد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره ، فردّها وقال : أنا رقيق على البرد والظهر ، أرفق بي فكتب له جواز ، وكتب إلى محمد بن عبد الله في بره وتعاوده ، فقدم علينا .

ثم قال بعد قليل : يا صالح ، قلت : لييك ، قال : أحب أن تدع هذا الرزق ، فأنما تأخذونه بسببي ، فسكت ، فقال : مالك ؟ قلت : أكره أن أعطيك شيئاً بلساني وأخاف إلى غيره ، وليس في القوم أكثر عيالاً مني ولا أعذر ، وقد كنت أشكو إليك ، وتقول أمرك منعقد بأمري ، ولعل الله أن يحا عني هذه العقدة ، وقد كنت تدعولي ، فأرجو أن يكون الله قد استجاب لك ، فقال : والله لا تفعل ، فقلت : لا ، فقال : لم ؟ ففعل الله بك وفعل !

ثم ذكر قصة في دخول عبد الله عليه وقوله له وجوابه له ، ثم دخول عمه عليه وإنكاره للأخذ ، إلى أن قال : فهجرنا ، وسدّ الأبواب بيننا وبينه ، وتحامى منازلنا أن يدخل منا إلى منزله شيء ، ثم أخبر بأخذ عمه ، فقال : نافقتني وكذبتني ، ثم هجره ، وترك الصلاة في المسجد وخرج إلى مسجد خارج يصلي فيه .

ثم ذكر قصة في دعائه صالحاً ومعاتبته في ذلك ، ثم في كسبته إلى يحيى بن خاقان ليترك معونة أولاده ، وبلوغ الخبر إلى المتوكل ، فأمر بحمل ما اجتمع لهم في عشرة أشهر ، وهو أربعون ألف درهم ، إليهم ، وأنه أخبر بذلك ، فسكت قليلاً ، وضرب بذهنه على صدره ، ثم رفع رأسه ، فقال : ما حيلتي أن أردتُ أمراً وأراد الله أمراً .

قال أبو الفضل صالح : وكان رسول المتوكل يأتي أبي يبلغه السلام ويسأله عن حاله ، فتأخذه نفضة حتى نذرته ، ثم يقول : والله لو أن نفسي في يدي لأرسلتها .

وجاء رسول المتوكل إلى أبي يقول : لو سلم أحد من الناس سلمت ، رفع رجل إلي أن علويّاً قدم من خراسان ، وأنت وجهت إليه من يلقاه ، وقد حبست الرجل .

وأردت ضربه ، فسكرهت أن تغمّ فرّ فيه ، قال : هذا باطل ، يخلى سبيله .
ثم ذكر قصة في قدوم المتوكل بغداد ، وإشارته على صالح بأن لا يذهب إليهم ،
ثم في محبي يحيى بن خاقان من عند المتوكل ، وما كان من احترامه ومحبته بألف
دينار ليفرقها ، وقوله : قد أعفاني أمير المؤمنين من كل ما أكره ، وفي توجيه محمد
بن عبد الله بن طاهر إليه ليحضره ، وامتناعه من حضوره ، وقوله : أنا رجل لم
أخالط السلطان ، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره .

قال : وكان قد أدمن الصوم لما قدم ، وجعل لا يأكل الدسم ، وكان قبل ذلك
يشتري له الشحم بدرهم فيأكل منه شهراً !! فترك أكل الشحم وأدمن الصوم والعمل ،
فتوهت أنه قد كان جعل على نفسه إن سلم يفعل ذلك .

وقال الخلال أبو بكر : حدثني محمد بن الحسين أن أبا بكر المروزي حدثهم :
كان أبو عبد الله بالعسكر يقول : انظر هل نجد لي ماء الباقلاً ؟ فكنت ربما بللت
خبزةً بالماء فيأكلها بالملح ، وربما أنه منذ دخلنا العسكر إلى أن خرجنا ما ذاق
طبيعاً ولا دسماً .

وعن المروزي قال : أنبهي أبو عبد الله ذات ليلة ، وكان قد واصل ، فإذا هو
قاعد ، فقال : هوذا يدّارُ بي من الجوع ، فأطعمني شيئاً ، فجئته بأقلّ من رغيف
فأكله ، قال : لولا أنني أخاف العون على نفسي ما أكلت . وكان يقوم من فراشه
إلى الخارج ، فيقعد يستريح من الضعف من الجوع ، وحتى إن كنت لأبلّ
الخرقة فيلقها على وجهه ، لترجع إليه نفسه ، حتى أوصى من الضعف من غير
مرض ، فسمعته يقول عند وصيته ، ونحن بالعسكر ، وأشهد على وصيته : « هذا
ما أوصى به أحمد بن محمد ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأن محمداً عبده ورسوله » ، وذكر ما يأتي .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر

وما ، ماذا شئتاً إلا - اربع سويق ، ورأيت ما في عينيه قد دخلا في حدقيه .
وقال صالح بن أحمد : وأوصى أبي بالعسكر هذه الوصية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل ، أوصى
أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله
بالحق ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من أطاعه
من أهله وقرباته أن يعبدوا الله في العابدين ، ويحمدوه في الحامدين ، وأن يتصالحوا
لجماعة المسلمين ، وأوصى أني قد رضيتُ بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ،
وأوصى أن لعبد الله بن محمد المعروف بفوارن عليّ نحواً من خمسين ديناراً ، وهو
مصدق فيما قال ، فيُقتضى ماله عليّ من غلة الدار إن شاء الله تعالى ، فإذا
استوفي أعطيتُ ولد صالح وعبد الله ابني أحمد بن محمد بن حنبل ، كلُّ ذكر وأنتي
عشرة دراهم ، بعد مال أبي محمد ، شهد أبو يوسف وصالح وعبد الله ابنا أحمد .

أُنبئتُ عمر مع أبا علي الحداد أخبرنا أبو نعيم في الحلية حدثنا سليمان
بن أحمد حدثنا الله بن أحمد بن حنبل قال : كتب عبيد الله بن يحيى إلى
أبي يخبره أن أمير بن أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن ، لامسالة
امتحان ، ولكن مرفقة وبصرة . فأمل عليّ أبي رحمه الله إلى عبيد الله بن يحيى ،
وحدي ما معي أح

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أحسن الله ماقتك أبا الحسن في الأمور كلها ، ودفع
عنك مكاره الدنيا ، آخرة برحمته . قد كتبتُ إليك رضي الله عنك بالذي سألتُ
عنه أمير المؤمنين بقرآن ، بما حضرنى ، وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير
المؤمنين ، فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينفسون فيه ،

حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين ، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة ، وانجلى
عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق الحابس ، فصرف الله ذلك كله ، وذهب
به بأمير المؤمنين ، ووقع ذلك من المسلمين موقفاً عظيماً ، ودعوا الله لأمر المؤمنين ،
[وأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء ، وأن يتم ذلك لأمر
المؤمنين] ، وأن يزيد في نيته ، وأن يعينه على ما هو عليه ، فقد ذكر عن عبد الله
بن عباس أنه قال : لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، فإن ذلك يوقع الشك
في قلوبكم ، وذكر عن عبد الله بن عمرو أن نقرأ كانوا جلوساً بباب النبي صلى الله
عليه ، فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا ؟ وقال بعضهم : ألم يقل الله كذا ؟ فسمع
رسول الله صلى الله عليه فخرج كأنما فقى . في وجهه حبُّ الرمان ، فقال : بهذا
أمرتم ، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ؟ إنما ضلّت الأمم قبلكم في مثل هذا ،
إنكم لستم مما ههنا في شيء ، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به ، وانظروا الذي نهيتهم
عنه فاتهوا عنه . وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : مرأى في
القرآن كفرٌ . وروي عن أبي جهم ، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه ، عن النبي
صلى الله عليه قال : لا تماروا في القرآن ، فإن مرأى فيه كفر . وقال ابن عباس : قدم
على عمر بن الخطاب رجل ، فجعل عمر يسأله عن الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا ، فقال ابن عباس : فقلتُ : والله ما أحب أن
يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة ، قال : فزبرني عمر ، وقال : مه ، فانطلقت
إلى منزلي مكتئباً حزيناً ، فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال : أجب أمير المؤمنين ،
فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني ، فأخذ بيدي فخلا بي ، فقال : ما الذي كرهت ؟
قلت : يا أمير المؤمنين ، متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا ^(١) ، ومتى ما يحتقوا

(١) يحتقوا : أي يقول كل واحد منهم : الحق معي .

يختصموا ، ومتى ما يختصموا يختلفوا ، ومتى ما يختلفوا يقتلوا ، قال : الله أبوك ! والله إن كنت لأكتنها الناس حتى جثت بها . ورؤي عن جابر قال : كان النبي صلى الله عليه يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : هل من رجل يحملني إلى قومه ، فإن قریشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي . ورؤي عن جُبَيْر بن نُفَيْر قال رسول الله صلى الله عليه : إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه ، يعني القرآن . ورؤي عن ابن مسعود أنه قال : جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه شيئاً إلا كلام الله عز وجل . ورؤي عن عمر بن الخطاب أنه قال : إن هذا القرآن كلام الله ، فضمونه مواضعه . وقال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد ، إني إذا قرأت كتاب الله وتدبرته كدت أن آيس^(١) وينقطع رجائي ، فقال : إن القرآن كلام الله ، وأعمال ابن آدم إلى الضعف والتقصير ، فاعمل وأبشر . وقال فروة بن نوفل الأشجعي : كنت جاراً لخباب ، وهومن أصحاب النبي صلى الله عليه ، فخرجت معه يوماً من المسجد وهو أخذ بيدي ، فقال : يا هَتَاهُ ، تقرب إلى الله بما استطعت ، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه . وقال رجل للحكم بن عُتيبة : ما حمل أهل الأهواء على هذا ؟ قال : الخصومات . وقال معاوية بن قُرة ، وكان أبوه ممن أتى النبي صلى الله عليه : إياكم وهذه الخصومات ، فإنها تحبط الأعمال . وقال أبو قلابة ، وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه : لا تجالسوا أهل الأهواء ، أو قال : أصحاب الخصومات ، فإنه لا آمن أن يفسدكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون . ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين ، فقالا : يا أبا بكر ، نحدثك بحديث ؟ قال : لا ، قال : فقرأ عليك آية ؟ قال : لا ، لَتَقْوَمَنَّ عني أو

(١) في المعجم الوسيط ٣٤/١ (آيس) منه - آيسا - وإياسا :
يفس و ينقطع رجاؤه فهو آيس وآيس .

لأَقْوَمَتُهُ، فقاماً، فقال بعض القوم: يا أبا بكر، و عليك أن يقرأ أي عليك آية؟ قال: إني خشيت أن يقرأ علي آية فيحرفانها، فيقرّ ذلك في قلبي، ولو أعلم أي أكون مثلي الساعة لقرّ كتبها. وقال رجل من أهل البدع لأيوب السخّيتاني: يا أبا بكر، أسألك عن كلمة؟ فوالى وهو يقول بيده: ولا نصف كلمة. وقال ابن طاوس لابن له يكلمه رجل من أهل البدع: يا بني، أدخل أصبعيك في أذنك، حتى لا تسمع ما يقول، ثم قال: اشدّد اشدّد. وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل. وقال إبراهيم النخعي: إن القوم لم يدخّر عنهم شيء خفيّ لكم لفضل عندكم. وكان الحسن رحمه الله يقول: سرّ داء خالط قلباً، يعني الأهواء. وقال حذيفة بن اليمان: اتقوا الله وخذوا طريق من كان قبلكم، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يبت شالاً لقد ضلّتم ضلالاً بعيداً، أو قال: مبيناً. قال أبي: وإنما تركت ذكر الأئمة لما تقدم من البين التي قد حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين، لولا ذلك ذكرها بأسانيدها. وقد قال الله تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله). وقال: (ألا له الخلق والأمر) فأخبر بالخلق، ثم قال (والأمر)، فأخبر أن الأمر غير الخلق. وقال عز وجل: (الرحمن . علم القرآن . الإنسان علمه البيان)، فأخبر أن القرآن من علمه. وقال تعالى: (ولن ترضى شك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مآلك من الله من ولي ولا نصير). وقال: (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك، وما أنت بتابع قبلتهم، وما بعضهم بتابع قبلة

(١) إبراهيم النخعي: أدرك جماعة من الصحابة منهم أبو سعيد الخدري وعائشة، يروى عن التابعين كملقمة ومسروق والأسود توفي سنة ٩٥ هـ كان صير في الحديث ما هرا في نقده وتمييز صحيحه من ضيفه.

بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ، إنك إذا لمن الظالمين) .
 وقال تعالى : (وكذلك أنزلناه حِكْمًا عَرَبِيًّا ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من
 العلم مآل لك من الله من وليّ ولا واقٍ) . فالقرآن من علم الله ، وفي هذه الآيات
 دليل على أن الذي جاءه هو القرآن ، لقوله (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك
 من العلم) . وقد رُوي عن غير واحد ممن مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون :
 القرآن كلام الله غير مخلوق ، وهو الذي أذهب إليه ، لستُ بصاحب كلام ، ولا أرى
 الكلام في شيء من هذا ، إلا ما كان في كتاب الله ، أو في حديثٍ عن النبي
 صلى الله عليه ، أو عن أصحابه ، أو عن التابعين ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه
 غير محمود .

قلت : رَوَاةُ هذه الرسالة عن أحمد ثَمَّةٌ أثبات ، أشهد بالله أنه أملاها
 على ولده ، وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه ، كرسالة الإصطخري ، ففيها
 نظر ، والله أعلم .

ذكر مرضه رحمه الله

قال ابنه عبد الله : سمعت أبي يقول : استكملتُ سبعمائة وسبعين سنة . فمُنَّ من
 ليلته ومات يوم العاشر .

وقال صالح : لما كان في أول يوم من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين
 ومائتين حمُّ أبي ليلة الأربعاء ، وبات وهو محموم ، يتنفس تنفساً شديداً ، وكنت
 قد عرفت علته ، وكنت أمرّضه إذا اعتلّ ، فقلت له : يا أبت ، على ما أفطرتُ
 البارحة ؟ قال : على ماءٍ بقلّ ، ثم أراد القيام فقال : خذ بيدي ، فأخذت بيده ،
 فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى توكأ عليّ ، وكان يختلف إليه غيرُ متطبّب ،
 كلهم مسلمون ، فوصف له متطبّب قرعة تُشوى ويُسقى ماؤها — وهذا يوم الثلاثاء

فتوفي يوم الجمعة - فقال : يا صالح ، قلت : لبيك ، قال : لا تشوى في منزلك ولا في منزل أخيك ، وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده ، فخبجه ، وأتى ابن علي بن الجعد فخبجه ، وكثر الناس ، فقال : أي شيء ترى ؟ قلت : تأذن لهم فيدعون لك ، قال : أستخير الله تعالى ، فجعلوا يدخلون عليه أفواجا حتى تمتلئ الدار ، فيسألونه ويدعون له ، ثم يخرجون ويدخل فوج آخر ، وكثر الناس ، وامتلاء الشارع ، وأغلقتنا باب الزقاق ، وجاء رجل من جيراننا قد خضب ، فقال أبي : إني لأرى الرجل يحكي شيئا من السنة فأفرح به ، [فدخل فجعل يدعو له ، فجعل يقول : له وللجميع المسلمين ، وجاء رجل فقال : تطف لي بالإذن عليه ، فإني قد حضرت ضربه يوم الدار ، وأريد أن أستحله ، فقلت له : فأمسك ، فلم أزل به حتى قال : أدخله ، فأدخلته ، فقام بين يديه وجعل يبكي ، وقال : يا أبا عبد الله ، أنا كنت ممن حضر ضربك يوم الدار ، وقد أتيتك ، فإن أحببت القصاص فأنا بين يديك ، وإن رأيت أن تحلني فقلت ، فقال : على أن لا تعود لمثل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فإني قد جعلتك في حل ، فخرج يبكي ، وبكى من حضر من الناس] ، وكان له في خريقة قطيعات ، فإذا أراد الشيء أعطينا من يشتري له ، وقال لي يوم الثلاثاء : انظر في خريقتي شيء ، فنظرت فإذا فيها درهم ، فقال : وجه اقتض بعض السكان ، فوجهت فأعطيت شيئا ، فقال : وجه فاشترت تمرأ وكفرت عني كفارة يمين ، وبقي ثلاثة دراهم ، أو نحو ذلك ، فأخبرته ، فقال : الحمد لله ، وقال : اقرأ علي الوصية ، فقرأتها عليه ، فأقرها ، وكنت أنام إلى جنبه ، فإذا أراد حاجة حركني فأناوله ، وجعل يحرك لسانه ، ولم يثن إلا في الليلة التي توفي فيها ، ولم يزل يصلي قائما أمسكه ، فيركع ويسجد ، وأرفعه في ركوعه ، واجتمعت عليه أوجاع الحصر ، وغير ذلك ، ولم يزل عقله ثابتا ، فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، لساعتين من النهار ، توفى .

وقال المروزي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين . خلتا من ربيع الأول ومرض تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا ، يسلمون عليه ويرد عليهم بيده ، وتسامع الناس وكثروا ، وسمع السلطان بكثرة الناس ، فوكل السلطان بيابه وبياب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار ، ثم أغلق باب الزقاق ، فكان الناس في الشوارع والمساجد ، حتى تعطل بعض الباعة ، وحيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور وطُرد الحاكمة^(١) ، وربما تسلى ، وجاء أصحاب الأخبار فقمعدوا على الأبواب ، وجاء حاجب ابن طاهر فقال : إن الأمير يقرئك السلام ، وهو يشتهي أن يراك ، فقال : هذا بما أكره ، وأمير المؤمنين أعفاني مما أكره ، وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى المسكر ، والبُرْد تختلف كل يوم ، وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه ، وجعلوا يبيكون عليه ، وجاء قوم من القضاة وغيرهم ، فلم يؤذن لهم ، ودخل عليه شيخ فقال : اذكر وقوفك بين يدي الله ، فشقق أبو عبد الله ، وسالت الدموع على خديه ، فلما كان قبل وفاته يوم أو يومين قال : ادعوا لي الصبيان ، بلسان ثقيل ، فجعلوا ينضمون إليه ، وجعل يشمهم ويمسح بيده على رؤوسهم ، وعينه تدمع ، [فقال له رجل : لا تقم لهم يا أبا عبد الله ، فأشار بيده ، فظننا أن معناه : أني لم أرد هذا المعنى ، وكان يصلي قاعداً ، ويصلي وهو مضطجع ، لا يكاد يفتر ، ويرفع يديه في إيماء الركوع] وأدخلت الطست تحته فرأيت بوله دماً عبيطاً ليس فيه بول ، فقلت للطبيب ، فقال : هذا رجل قد فتت الحزن والغم جوفه ، واشتدت عليه يوم الخميس ، ووضأته ،

(١) الطرر : جمع طرة : اسم الشيء المقطوع وطرف كل شيء وحرفه ، وطرر الثوب : عمل له طرة : أى حاشية ، وطرة المرأة : نحرها أى قصتها جمع طرر ، وطرار : والمقصود هنا : أطراف دكاكينهم .

فقال : خلل الأصابع ، فلما كانت ليلة الجمعة ثقل ، وقبض صدر النهار ، فصاح الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء ، حتى كأن الدنيا قد ارتجت ، وامتلات السكك والشوارع .

وقال أبو بكر الخلال : أخبرني عصمة بن عصام حدثنا حنبل قال : أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله وهو في الحبس ثلاث شعرات ، فقال : هذه من شعر النبي صلى الله عليه ، فأوصى عند موته أن يجعل على كل عين شعرة ، وشعرة على لسانه ، ففعل به ذلك عند موته .

وقال حنبل : توفي يوم الجمعة في ربيع الأول .
وقال مطين^(١) : في ثاني عشر ربيع الأول . وكذلك قال عبد الله بن أحمد وعباس الدوري .

وقال البخاري : مرض أحمد بن حنبل لليتين خلنا من ربيع الأول ، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة^(٢) خلت من ربيع الأول .

قلت : غلط ابن قانع وغيره فقالوا : في ربيع الآخر . فليعرف ذلك .
وقال الخلال : حدثنا المروذي قال : أخرجت الجنازة بعد منتصف الناس من الجمعة .

قلت : وقد روى الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أبو عامر حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه قال : ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر^(٣) .

(١) مطين : بضم وفتح وتشديد الياء أحد الحفاظ ، والاذكياء الإيقاظ . صنف المسانيد ، ذكره أبو بكر الخلال فقال : سمعنا منه أحاديث ومسائل عن أبي عبد الله حسنا جيادا .

وقال صالح : وجهُ ابن طاهر ، يعني نائب بغداد ، بحاجبه مظفر ومعه غلامين^(١) معهما مناديل فيها ثياب وطيب ، فقالوا : الأمير يقرئك السلام ويقول : قد فعلتُ ما لو كان أمير المؤمنين حاضرَه كان يفعل ذلك ، قلت : أقرئ الأمير السلام ، وقل له : إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه في حياته مما كان يكره ، ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكرهه في حياته ، فماد وقال : يكون شعاره ، فأعدتُ عليه مثلَ ذلك . وقد كان غَزَلت له الجارية ثوباً عُشَارِيّاً قَوْماً بثمانية وعشرين درهماً لَيَقْطَع منه قيصين ، فقطعنا له لفافتين ، وأخذ منه فوران لفافة أخرى^(٢) ، فأدرجناه في ثلاث لفائف ، واشترينا له حَنُوطاً ، وفرغ من غسله ، وكفناه ، وحضر نحو مائة من بني هاشم ونحن نكفنه ، وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير .

وقال عبد الله بن أحمد : صلى على أبي محمد بن عبد الله بن طاهر ، غلبنا على الصلاة عليه ، وقد كنا صلينا عليه ونحن والهاشميون في الدار .

وقال صالح : وجه ابن طاهر : من يصلي عليه ؟ قلت : أنا ، فلما صرنا إلى الصحراء إذا ابن طاهر واقف ، فخطا إلينا خطوات ، وعزانا ، ووضع السرير ، فلما انتظرت هُنَيَّةً تقدمتُ وجعلتُ أسوي صفوف الناس ، فجاءني ابن طاهر ، فقبض هذا على يدي ، ومحمد بن نصر على^(٣) يدي ، وقالوا : الأمير ! فمانعتهم ، ففتحاني وصلي ، ولم يعلم الناسُ بذلك ، فلما كان من الغد علم الناسُ فجعلوا يجيئون ويصلون على القبر ، ومكث الناس ما شاء الله يأتون فيصلون على القبر .

(٢) اسناده ضعيف لانقطاعه . وقال الترمذی : حديث غريب ، وليس اسناده بم متصل . ربيعة بن سيف انما يروى عن ابني عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعا من عبد الله بن عمرو . وقال السيوطي : « أخرجه أحمد ، وابن أبي الدنيا ، انظر الترمذی

وقال عبيد الله بن يحيى بن خاقان : سمعت المتوكل يقول لمحمد بن عبد الله :
 طوبى لك يا محمد ، صليت على أحمد بن حنبل رحمتُ الله عليه .

وقال أبو بكر الخلال : سمعت عبد الوهاب الوراق يقول : ما بلغنا أن جمعاً
 في الجاهلية والإسلام مثله ، حتى بلغنا أن الموضع مُسح وحُزر على الصحيح ، فإذا
 هو نحو من ألف ألف ، وحزَرنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة ، وفتح الناس
 أبواب المنازل في الشوارع والدروب ، ينادون من أراد الوضوء .

وروى عبد الله بن إسحق البغوي : أن بُنَّانَ بن أحمد القضباني أخبره أنه حضر
 جنازة أحمد ، فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة ، وحزر من
 حضرها من الرجال ثمان مائة ألف ، ومن النساء ستين ألف امرأة ، ونظروا فيمن
 صلى العصر في مسجد الرصافة ، فكانوا نيفاً وعشرين ألفاً .

وقال موسى بن هرون الحافظ : يقال إن أحمد لمات مُسحَّت الأمكنة المبسوطة
 التي وقف الناس للصلاة عليها ، فحُزِرَ مقاديرُ الناس بالمساحة على التقدير ستمائة
 ألف وأكثر ، سوى ما كان في الأطراف والحوالي والسطوح والمواقع المتفرقة ،
 أكثر من ألف ألف .

وقال جعفر بن محمد بن الحسين النيسابوري : حدثني فتاح بن الحجاج قال :
 سمعت في دار الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر : أن الأمير بعث عشرين رجلاً
 فَحَزَرُوا كم صَلَّى على أحمد بن حنبل ؟ فحزروا ، فبلغوا ألف ألف وثمانين ألفاً ، سوى
 من كان في السفن في الماء .

ورواها خُشْنَامُ ^(١) بن سعد ، فقال : بلغوا ألف ألف وثلاثمائة ألف .

وقل ابن أبي حاتم : سمعت أبا زرعة يقول : بلغني أن المتوكل أمر أن يُمَسَّحَ

(١) في الأصل « خُشْنَام بن سعيد » . ومحمّذه من طبقات الحنابلة . وفي ابن الجوزي

٤١٦ « محمد بن حُشْنَام بن سعد » ، والراجح أنه خطأ .

للموضع الذي وقف عليه الناس ، حيث صَلَّى على أحمد ، فبلغ مقام أبي ألف وخمس مائة .

وقال البيهقي : بلغني عن البغوي ، أن محمد بن عبد الله بن طاهر أمر أن تُخزَر الخلق الذي في جنازة أحمد ، فاتفقوا على سبعمائة ألف .

وقال أبو همام الوليد بن شجاع : حضرت جنازة شريك ، وجنازة أبي بكر بن عياش ، ورأيت حضور الناس ، فما رأيتُ جمعا قط شبهة هذا ، يعني في جنازة أحمد .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حضرت جنازة أبي الفتح القواس مع المارقطين ، فلما نظر إلى الجمع قال : سمعت أبا سهل بن زياد ، سمعت عبد الله بن أحمد بن محمد بن علي سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع : يئنا وبينكم الجنائز^(١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني أبو بكر محمد بن العباس المكي . سمعت الزركاني جار أحمد بن حنبل يقول : يوم مات أحمد بن حنبل وقع المائتم والنوح في أربعة أصناف : المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس . وأسلم يوم مات عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس .

وفي لفظ عن ابن أبي حاتم : عشرة آلاف .

وهي حكاية منكّرة ، لا أعلم رواها أحد إلا هذا الزركاني ، ولا عنه إلا محمد بن العباس ، تفرد بها ابن أبي حاتم .

(١) قال الحافظ ابن كثير في التاريخ ١٠ : ٣٤٢ : « وقد صدق الله قول أحمد في هذا ، فإنه كان إمام السنة في زمانه ، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي داود . وهو قاضي قضاء الدنيا ، لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلتفت إليه ، ولما مات ما شيعه إلا قبل من أعوان السلطان ، وكذلك الحرث بن أسد المحاسبي ، مع زهده وورعه وتقيره وعخاسته نفسه في خطراته وحرركاته ، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس ، وكذلك بشر بن شيبان المريسي ، لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جداً ، فله الأمر من قبل ومن بعد » .

والعقل يحيل أن يقع مثل هذا الحادث في بغداد ، ولا ينقله جماعة تنمقد همهم .
ودواعيهم على نقل ما هو دون ذلك بكثير .

وكيف يقع مثل هذا الأمر الكبير ولا يذكره المروزي ، ولا صالح بن أحمد ،
ولا عبد الله بن أحمد ، ولا حنبل ، الذين حكوا من أخبار أبي عبد الله جزئيات
كثيرة لا حاجة إلى ذكرها ، فوالله لو أسلم يوم موته عشرة أنفس لكان عظيماً ،
ولكان ينبغي أن يرويه نحو من عشرة أنفس .

وقد تركت كثيراً من الحكايات : إما لضعفها ، وإما لعدم الحاجة إليها ،
وإما لطولها .

ثم انكشف لي كذب الحكاية بأن أبا زرعة قال : كان الوركاني ، يعني
محمد بن جعفر ، جاراَ أحمد بن حنبل ، وكان يرضاه ، وقال ابن سعد وعبد الله
بن أحمد وموسى بن هرون : مات الوركاني في رمضان سنة ثمان وعشرين
ومائتين^(١) . فظهر لك بهذا أنه مات قبل أحمد بدهر ! فكيف يحكي يوم جنازة
أحمد رحمه الله ؟ !

قال صالح بن أحمد : جاء كتاب المتوكل بعد أيام من موت أبي إلى ابن طاهر
بأمره بتعزيتنا ، ويأمر بحمل الكتب ، فحملتها ، وقلت : إنها لنا سماع ، فتكون في
أيدينا وتنسخ عندنا ، فقال : أقول لأمير المؤمنين ، فلم نزل ندافع الأمير ، ولم
تخرج عن أيدينا ، والحمد لله .

وقد جمع مناقب أبي عبد الله غير واحد ، منهم أبو بكر البهقي في مجلد ، ومنهم
أبو إسماعيل الأنصاري في مجلدين ، ومنهم أبو الفرج بن الجوزي في مجلد . والله تعالى
يرضى عنه ويرحمه .

(١) وكذلك أرخ وفاته الخطيب في تاريخ بغداد (٢ : ١١٦ - ١١٨) والسمعاني
في الأنساب (ورقة ٥٨١ ب) .

مصادر آخر لترجمة الامام أحمد

من الكتب المطبوعة

- التاريخ الكبير للبخارى ج اقسام ٢ ص ٦
التاريخ الصغير للبخارى ٢/ ٣٧٥ طبعة دار الوعي - حلب
الفهرست لابن النسيم ٣٢٠
حلية الأوياء لأبي نعيم ٩ : ١٦١ - ٢٣٣
تاريخ بغداد للخطيب ٤ : ٤١٢ - ٤٢٣ (وذكر انه أفرد مناقب الامام
في كتاب خاص)
مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٣ - ١١
مختصر تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٨ - ٤٨
مناقب أحمد لابن الجوزي ، مجلد خاص في ٥٤٤ صفحة
صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ : ٣٣٦ - ٣٥٩ طبعة دار الوعي بحلب
تاريخ ابن الأثير ٧ : ٢٨
وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٢٠ - ٢١
تذكرة الحفاظ للذهبي ٢ : ١٧ - ١٨
طبقات الشافعية لابن السبكي ٢ / ٢٧ - ٦٣ / ط/ عيسى الحلبي
تاريخ الحفاظ ابن كثير ١٠ : ٣٢٥ - ٣٤٣
طرح التنزيه للمراقى ١ : ٣١ - ٣٢
تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ١ : ٧٢ - ٧٦
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢ : ٣٠٤ - ٣٠٦
مفتاح السعادة لطاشكبرى زادة ٢ : ٣٩ - ٤٨
شذرات الذهب لابن العماد ٢ : ٩٦ - ٩٨
ابن حنبل : محمد أبو زهرة
رجال الفكر والدعوة في الاسلام للنسوى ط الكويت ١١٤ - ١٤٥
ابن حنبل تأليف محمد رجب البيومي
أحمد بن حنبل امام أهل السنة : عبد الحليم الجندى
الامام المتحن : محمد البيى الخولى
الأئمة الأربعة : د . أحمد الشرباصى
الامام المتحن : محمد البيى الخولى
أحمد بن حنبل والمحنة : ترجمة عبد العزيز عبد الحق

المحتوى

صفحة	
٣	تاريخ الاسلام لمؤرخ الاسلام
٥	الحافظ الذهبي
٦	نسبه
٩	طلبة للتدريس
١٢	اشتغاله بالعلم واقباله عليه وحفظه
١٧	ثناء العلماء عليه
٢٤	تواضعه وزمعه وورعه
٢٢	آدابه
٢٨	قوله في أصول الدين
٢٢	كتابه : السنة ومخطوطاته
٣٢	نهية عن الخوض في الكلام
٣٠	فصل من سيرته
٣٣	زوجاته وأولاده
٣٥	المنه
٤٤	شدة ما لنى من الضرب
٤٤	ايجاز القول في : التقية
٥١	فصل في محنته من الوائيق
٥٣	حال أبى عبد الله أيام المتوكل
٥٤	محمد بن شجاع
٦٦	وصية الامام رضى الله عنه
٦٧	رسالة الامام الى المتوكل في شأن القرآن :
٧١	والنهى عن الكلام
٧٦	ذكر مرضه رحمه الله ووفاته والصلاة عليه
٧٦	كثرة من شهد جنازته
٧٧	رد الحافظ الذهبي الرواية التي تزعم أنه
٧٧	أسلم يسوم وفاته عشرون ألفا
٧٩	المحتوى